بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر * وكذبوا واتبعوا أهوائهم وكل أمر مستقر * ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر * حكمة بالغة فما تغني النذر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، اللهم أن نعوذ بك أن نزِلَ أو نُزل ، أو نَضِل أو نُضل ، أو نَظلِم أو نُظلم ، أو نَجهل أو يُجهل علينا ، ونسألك سبحانك أن تمدنا بعلم نافع وبعمل صالح وأن تجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك ...

سورة القمر قال : إنها مكية ومعنى كونها مكية أنها نزلت قبل الهجرة والضابط بين المكي والمدني على الصحيح عند أهل علوم القرآن ، أن المكي ما نزل قبل الهجرة ولو كان بالطائف ، وأن المدني ما نزل بعد الهجرة ولو كان بمكة أو بالسفر أو في تبوك أو في غيرها ، والسور المكية ذكرنا لكم بعض خصائصها ، وما تشتمل عليه من العلم في أول سورة (ق) فيما مضى .

قوله جل وعلا ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ اقتربت الساعة ذكر لك أن هذا المعنى مقرر في آيات كثيرة ، كقوله ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ وكقوله : ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ ونحو ذلك من الآيات وفي قوله: ﴿ اقتربت ﴾ ما يُشعر بأنها هي التي تُقبل وهذا معنى قول علي ارتحلت الآخرة مقبلة وارتحلت الدنيا مدبرة ولكل منهما بنون ، فكن من أبناء الآخرة ، ولا تكن من أبناء الدنيا والساعة كما سمعت في

الأحاديث قريبة ليست ببعيدة وقربها دل عليه وجود أشراطها كما قال جل وعلا فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها يعني قد جاءت علاماتها ومن أعظم علامات قرب الساعة بعثة محمد عليه الصلاة والسلام ثم وفاته وموته عليه الصلاة والسلام ، وما نحن فيمن مضى إلا كما بقي من آخر النهار وهذا سمعت فيه عدة أحاديث وفيه أيضاً حديث صحيح لم يذكره الحافظ ابن كثير وهو أن النبي عليه الصلاة والسلام قال (قال الله تعالى : مثلي ومثل الناس كمثل رجل استأجر أجراء على أن يعملوا له فعملت طائفة منهم من أول النهار إلى منتصفه ثم عملت طائفة من وسطه إلى العصر ثم عملت طائفة من العصر إلى غروب الشمس فجعلت لها أجرين فقال الأولون : يا رب هؤلاء عملوا أقل منا وجعلت لهم أجرين فقال الله جل وعلا لهم هل ظلمتكم من حقكم شيئاً قالوا : لا يا ربنا ، قال : ذلك فضلي أوتيه من أشاء) وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام (بُعِثتُ أنا والساعة كهاتين) يعني من شدة القرب والتلازم ، ولا شك أن كثرة أشراط الساعة الصغرى ووجود أغلب تلك الأشراط يدل على أن قيام الساعة يقترب اقتربت الساعة وانشق القمر ولفظ الساعة في لغة العرب يدل على برهة من الزمان ليست بالطويلة تمضي سريعة ولذلك اشتقت من سعى يعني من السعي ولا يتقيد الساعة في اللغة بالساعة المعروفة الآن يعني أنه بقسمة النهار إلى اثني عشرة ساعة ، بل الساعة قد تكون لحظات في اللغة وقد تكون ساعات بالمفهوم الآخر ولهذا جاء في الحديث الصحيح الذي في الصحيحين أنه عليه

الصلاة والسلام قال في مكة (إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض وأنها لم تحل لأحد قبلي ولا لأحد بعدي ، وإنما أُحلت ليَّ ساعة من نهار) وكانت هذه الساعة من الصباح إلى العصر
وتسمية يوم القيامة بالساعة يدل على سرعة حصوله وعلى أنه لا يطول يعني حدوث القيامة وعلى أن ذلك يأتي بسرعة وهذا كله مؤذن بخطرها وبالخوف منها كما قال هل ينظرون إلا الساعة أيضاً الساعة كما ذكرت هي مدة من الزمان سريعة المضي ، والسعي في انقضائها هي أيضاً موصوفة بالقرب ففي كونها ساعة ما يشعر أيضاً بأنها قريبة فصار القرب من جهتين : ـ
1ـ من جهة لفظ اقتربت .
2ـ ومن كونها ساعة .
وأسماء القيامة كثيرة في القرآن لها موضع إن شاء الله نبينها فيه .
س :
ج : اللزام هو المذكور في قوله في آخر سورة الفرقان قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعائكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً يعني قل ما يعبأ بكم ربي يعني ما يعبأ بعذابكم لولا دعاؤكم إلى الإيمان ولولا دعوتكم إلى التصديق لولا دعوتكم إلى الحق لولا دعوتكم إلى الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام يعني أنكم كذبتم وفعلتم ما فعلتم وأنتم مستحقون للعذاب لولا أن المراد أن تقام الحجة عليكم أكثر بدعوتكم إلى الدين لما عبأ بكم الله جل وعلا ولأرسل عليكم العذاب قال فقد كذبتم يعني وضح لكم التكذيب فلم تستعجلون العذاب ، فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً يعني عذابكم والنكال

سوف يكون لزماً ، وحصل هذا فقد انهزموا وعُذبوا ونكل بهم طبعاً هذا اللي جاء في الأثر أثر ابن عباس ، على حسب اجتهاده والنسبة للدخان ، الدخان الصحيح أن الدخان سيأتي ، وذكر أنه حصل دخان عظيم في مكة وتعب فيه المشركون ، لكن الصحيح أن الدخان من أشراط الساعة وأنه سيأتي ، الروايات هذه لأجل التواتر حتى يُثبت لك التواتر ، انشقاق القمر متواتر رواه جمع كثير من الصحابة رضوان الله عليهم .

الأحاديث هذه دالة على أن انشقاق القمر حدث بلا شك وبلا ريب وهذه الأحاديث فيها نقل عدد من الصحابة لحدوث انشقاق القمر من الصحابة من لم يكن كبيراً في مكة وقت حدوث الانشقاق كابن عباس وأنس وابن عمر ، ولذلك يرجع طائفة من الناس رواية انشقاق القمر إلى رواية ابن مسعود التي جاءت في آخر هذه الروايات وهي أظهر الروايات ، وذلك من جهة أنه ابن مسعود كان في مكة كبيراً ينقل ما رآه وكذلك رواية غيره في أوله من ؟ . ، وانشقاق القمر بعض أهل العلم يرى أنه من جهة الرواية يحصل به التواتر المعنوي وذلك لكثرة الناقلين له من التابعين ثم ممن تبعهم فالروايات انتشرت واشتهرت فهي من جهة كونها رواية عن الصحابة يحصل بها التواتر المعنوي عند طائفة من أهل العلم وسواء أكان ذلك يرجع إلى عدد قليل من الصحابة ، كابن مسعود ونحوه أو أنه نقل عن عدد كبير منهم فانشقاق القمر حدث ، والآية دلت على أنه حصل وانقضى اقتربت الساعة وانشق القمر ولا يحمل هذا على أنه سينشق لأنه جعله جل وعلا آية فقال وإن يروا آية

يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر ﴾ فإذن انشقاق القمر فيما دلت عليه الآية ، ودلت عليه هذه الأحاديث ، والروايات المختلفة عن الصحابة ، وتتابع التابعون ومن بعدهم على نقلها ، يحصل به القطع لأن القمر انشق على هذا النحو الذي وُصِف بأنه جعل يعني القمر نصفين ، ولا شك أن هذا اثر كوني في هذا المخلوق من مخلوقات الله لا يمكن لبشر أن يُحدثه ولا يمكن لبشر أن يسحر الناس كُلهم في ذلك بل هذه آية وكونها آية دالة على صدق النبي عليه الصلاة والسلام فإذن انشقاق القمر يجب الإيمان به وأنه حدث وانتهى لدلالة الآية بصيغة الماضي انشق القمر يعني انشق وانتهى ، ويجب الإيمان ثانياً بأنه آية أوتيها النبي عليه الصلاة والسلام من الآيات العظيمة وأشهد عليها عليه الصلاة والسلام اشهدوا ، يعني على أن هذه الآية حصلت ، ثم ثالثاً : انشقاق القمر يدل على أن الساعة ستقترب ، أو على أن الساعة اقتربت ، لأنها من الآيات العظام التي تكون بين يدي الساعة ، يعني الآيات الصغرى .

قوله جل وعلا ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر ﴾ من حيث الألفاظ الآية ذكر لك معناها ، بأن الآية الدليل والحجة والبرهان ولكن الآية أرفع من هذه الأشياء ، فالآية هي البينة التي تؤدي إلى المراد بلا شبهة ، فالدليل قد يكون معترضاً ، والبرهان قد يكون معترضاً وأما الآية فهي حجة واضحة بينة لا يمكن أن تكون ملتبسة .

والآيات التي أوتيها النبي عليه الصلاة والسلام ، أنواع منها آيات منظورة ، ومنها آيات مقروءة ، أما الآيات المقروءة فهي القرآن وهي أعظم آية أوتيها النبي عليه الصلاة والسلام كما ثبت في الصحيح أن

النبي عليه الصلاة والسلام قال (ما بُعِث نبي إلا وأوتيَّ من الآياتِ ما على مثله آمن البشر وكان الذي أوتيتَّه وحياً يتلى) يعني من جملة ما أوتيته وكان هو أعظم ما أعطيَّ النبي عليه الصلاة والسلام القرآن والآية هنا كما ترى نكرة في سياق الشرط فتعم كل الآيات التي رآها المشركون أعرضوا عنها وإن يروا آية يعرضوا ما من آية تأتيهم إلا ويعرضوا ، والإعراض من حيث اللغة هو إعطاء العُرض وهو الجانب ن فإذا أعطى الشيء عُرضه قيل أعرض عنه ، يعني أعطاه جانبه وانصرف ، وهو لا يكون إلا من عدم محبة للحق ، أو غلبة الهوى على النفس ، وإلا فوجود الآية يقتضي الإقبال قال :   ويقولوا سحرٌ مستمر السحر معروف لكم لا يحتاج إلى مزيد تفصيل ، والمراد به هنا السحر الحقيقي اللي يفعله السحرة ، وليس سحر الكلام أو سحر التصرف يعني من حيث جماله ومن حيث غرابته أو من حيث غرابته وأشباه ذلك ، وإنما هو فعل الساحر وهو أن يوهمهم بأن شيئاً حصل وهو لم يحصل ، أن يوهم الأعين كما قال جل وعلا سحروا أعين الناس واسترهبوهم فحقيقة السحر الذي نسب المشركون إليه النبي عليه الصلاة والسلام هو السحر الذي يعمله السحرة قوله مستمر هذه كلمة مستمر يدل على أنه مر أو يمر وينقضي ، ولهذا فسره من فسره من السلف مثل مجاهد وقتادة وغير هؤلاء قالوا : سحرٌ مستمر يعني ذاهب لأنه مأخوذ من المرور ، فكأنه سحرٌ مار ، فتكون السين والتاء في الكلمة للمبالغة في ذهابه ومروره ولهذا يقال أيضاً : هذا شيء مستمر إذا كان دائماً أيضاً سحرٌ مستمر يعني دائم كلما مر منه

شيء أتى شيء آخر فكلمة مستمر تفسر بأنه سحرٌ ذاهب منقضي وتفسر أيضاً بأنها سحر يتبعه سحر ، سحر متواصل ، سحرٌ يتبعه سحر ، سحرٌ آخر يعني من جنس آخر ذاهب يعني خلاص سيُنسى باطل مضمحل ، ليس له اثر باق .

س :

ج : الله جل وعلا قال يسألونك عن الأهلة * قل هي مواقيت للناس والحج هذه الأشياء من المباحث الكونية التي يتعاطاها أهل الهيئة أو الفلك أو ما أشبه ذلك هذه منقسمة إلى قسمين : ـ

1ـ منقسمة إلى أمور واضحة بينة لها برهانها ودليلها فهذه لا يمكن أن تتعارض مع القرآن ، لأن القرآن حق والدلائل العقلية إذا كانت ثابتة فهي حق والحق لا يعارض الحق بل يؤيده ويكون العقل أو الدليل النظري شاهداً على ما جاء في القرآن .

2 ـ والنوع الثاني منها أنها آراء وأقوال هذه لا ينبغي للمسلم أن يشتغل بها ، لا عرضاً على الكتاب ومعارضة أو محاولة للتوفيق ، ولا أيضاً أن يوغل في بحثها مثل مسألة الوصول للقمر انتهى ، وصلوا ما وصلوا ما لنا علاقة بالموضوع انتهى ، لا ينبني عليها تكليف ولا يجوز للمسلم أن يُصدق بها مطلقاً أو يكذب بها مطلقاً لكن إن قيل الإمكان موجود يعني من حيث الكلام العقلي ، الوصول ممكن فهذا صحيح عقلاً ، الإمكان ليس ثم مانع منه في الأدلة ولا في القضايا العقلية لكن قول القائل وصلوا أو لم يصلوا هذا كله مبني على مقدمة في الفلك وفي أمور طبقات الجو وفي الأجواء وفي الحيوانات وفي المزروعات إلى آخره كل العلوم الحديثة هذه منقسمة إلى هذين القسمين .

فالحق المطلق هو القرآن ، يأتي القرآن ، إن كان قطعي الدلالة فيما دل عليه فلا يجوز أن يعارض به قول أحد كائناً من كان حتى لو كان عندهم يقين عند العصريين أو علماء العصر علماء الطبيعات والفلكيات إلى آخره ، لو كانت عنده المسألة قطعية مائة في المائة عندهم ، والقرآن قطعي الدلالة على شيء فلا يجوز أن نترك القرآن إلى كلامهم ، لأن قطعي الدلالة هو من الله جل وعلا ، وهذا هو الحق المطلق ، أولئك لابد أن يكون ثم خلل عندهم ما أدركوه ، لكن قطعي الدلالة في الأمور الكونية في القرآن قليل وكذلك في أمور النباتات وأمور التربة إلى آخره ، وهذا له أصل شرعي عظيم ، وهو أن الشريعة مثل ما قال الله جل وعلا يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج الشريعة والكتاب والسنة ما جاء لبيان هذه الكونيات ، بيان قوانينها وبيان أحوالها ، إنما جاء للتدليل على وحدانية الله جل وعلا في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وعلى إثبات النبوات وإثبات البعث وما يتصل بذلك من أمور التشريع هذا الذي جاء به القرآن وهي الأمور التي يدخلها الهوى ، فالعبد بل نقول : إن الله جل وعلا خلق الأشياء على نحوين :

الأول : أشياء يدخلها الهوى لو ترك العباد وأنفسهم فيها لتعاملوا معها بالهوى وهي مثل أمور العبادة ، وأمور الدلائل والتوحيد وأمور النبوات ، والأمر والنهي والتشريع إلى آخره هذه الناس لهم فيها أهواء يثبتون ينفون يحبون من يشاءون يبغضون من يشاءون يحكمون بما شاءوا هذه الأمور التي يدخلها الهوى في العباد جاءت الشرائع ببيانها ، وأن العبد لا

يجوز له أن يخرج عن حكم الله فيها وإلا يكون قد اتبع هواه فمن مكثر ومن مستقل .
القسم الثاني : أو النحو الثاني من المخلوقات ومن الأشياء ما لا يدخله الهوى في الحكم عليه ، لأن الحكم عليه مبني على معرفته ، وهو مبني على قوانين ،÷ جعلها الله جل وعلا على سنة ، جعلها الله جل وعلا عليه ، فإذا جاء العبد وقال : إن القمر يستمد ضوءه من الشمس فهذه مسألة لا يدخلها الهوى ، كون ضوء القمر يكون منه ، أو من الشمس ، ليس للعبد هوى في ذلك ، ولذلك ما جاءت الشريعة بتقريره ، بتقرير هذا ولا بنهيه كذلك نقول : طبقات الأرض هي على هذه ، هذه أشياء تكتشف ، كذلك الحساب والهندسة والمثلثات وطبائع الأشياء ، الماء يغلي عند درجة كذا ، وخواص المعادن كذا هذه كلها أشياء طبيعية موجودة إذا اكتشفها العبد فإنه لن يؤثر هواه فيما يكتشف لأن هذه هي كذلك فسيقال له إما أنك مصيب أو أنك مخطئ لأن الهوى لا يدخل في هذه الأشياء فإذن هذه المخلوقات التي خلقها الله على هذا النحو ما كان منها متصلاً بما للعباد فيه هوى فستجد الحكم فيه في الشريعة واضح لأن الشريعة جاءت لتخليص المكلف من داعية هواه كما يقول الشاطبي في الموافقات يعني لا يكون للعبد حكم في الأشياء بهواه إن الحكم إلا لله تأتي الأشياء الثانية حكم الله جل وعلا فيها وانتهى والعبد لن يخالف خواص الأشياء ، الحديد خواصه كذا الهواء خواصه كذا ن الأكسجين ، هذه أشياء لا دخل للعبد فيها الطب بيعالج هذا المرض بهذا الشيء ماله دخل هواه ، إنه سيعالج مثلاً الصداع بماء هذا لو اهتوى ذلك ورغبه مائة مرة لن

يؤثر ذلك وهذه قاعدة عامة ولهذا قال جل وعلا يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج فهم سألوا عن الأهلة من جهة كونية فصرفوا عنها صرفوا عن الجواب لأن هذا الأمر لا يختص بالتشريع لما يبدو ويسألون عن شيء فلكي .
لم يبدو الهلال أول الشهر كذا يعني المسألة في ظلال الشمس لما يبدو أول الشهر هلالاً ثم يبدأ يكبر ويكبر حتى يتم ثم ينقص ، فقال جل وعلا يسألونك عن الأهلة * قل هي مواقيت للناس والحج فالجواب ليس على السؤال وإنما هو تقرير شيء الذي يستفيدونه تقرير ما سيستفيدونه فهذه المسائل التي تحدث طالب العلم لا يتكلم فيها إلا بعدل وعلم مثل القمر ، وإيش شأنه الوصول للقمر دوران الأرض يعني مثل المسائل هذه لا يتكلم فيها ، إن تكلم فيجب عليه أن يتكلم بعدل وعلم ما يبني على مقدمات ظنية ، ويحكم بها ثم بعد ذلك ينسب حكمه إلى الشريعة ولذلك ذكرت لك في أول عدد هذا الجواب أن الدليل إذا كان قطعي الدلالة فهو الحق المطلق إذا كانت دلالته محتملة أو ليس قطعي الدلالة ، محتمل قد تكون برجحان أو بتساوي ، برجحان أحد الطرفين أو بالتساوي إذا كانت دلالته محتملة ليست قطعية فلا يجوز أيضاً أن نجعل أحد هذه الاحتمالات هو القطعي ، ونجابة الأشياء العصرية بها ، لأنه قد يكون الأمر على خلاف ذلك فنجني على الشريعة ، عموماً طالب العلم متحرز في لفظه ، متحرز في استنتاجه ، لابد أن يتحرز في أحكامه ويجتهد ، أن لا ينسب للشريعة ما ليس منها ، لا ينسب للشريعة رأياً له ، رأي فهم له يقول :

هذه هي الشريعة يجب أن يتحرى في ذلك ، وأن لا يستعجل لأن المسألة قد يحدث عنها افتتان .
خذ مثلاً مثال على ذلك وإن كان هذا الكلام يطول لكن خذ مثال : علماء الهيئة السابقون من اليونان بل من قبلهم من قوم إبراهيم إلى اليونان إلى فلكي وفلاسفة الإسلام كما يُقال إلى وقت قريب مجمعون على أن الأرض هي المركز وعلى أن الكواكب تدور حولها وعلى أن الشمس هي المستوى الرابع والفلك الرابع .. إلى آخره يتتابعون ، تبعهم طائفة من علماء الإسلام على ذلك ، طائفة من علماء السنة تبعهم على ذلك ، طبعاً هم استنتجوا هذا الشيء بناءاً على تجارب جربوا وشافوا الظلال ، وشافوا أثر جريان الكوكب حول الأرض فمقدماتهم لم تكن سليمة فصار استنتاجهم فيه خلل الآن بالمكتشفات الحديثة ، تغيرت النظرة هذه إلى نظرة أخرى ، أيضاً نقول هل هذه الأشياء الحديثة مائة في المائة صحيحة ، الأولون كانت مبنية على براهين وبراهين صحيحة يعني تجد في كتب فلاسفة اليونان تجد برهان على تركب هذه الأفلاك بعضها على بعض ، برهان هندسي ، برهان رياضي لكن مبني على مقدمات نظرية ، يعني مبني على تجربة نظرية وعلى الظلال وعلى أشكال يعملونها معروفة في كتبهم ، الآن استخدموا الأجهزة والتصوير إلى أخره فقالوا : ثم كذا وكذا هذه الأشياء طالب العلم يفهمها لكن لا يُحَكِمُها إذا احتاج إليها عرف كيف يرد ولهذا شيخ الإسلام ابن تيمية حينما تكلم عن ترتيب الأفلاك ما جعله قطعياً ، هو مش معهم لكن ما جعله قطعياً ، جعل فيه احتمال وهو من أحسن الناس من المتقدمين كلاماً في تقرير

هذه المسائل الفلكية وإن كان تابعهم لكنه ما جعله قطعياً كما جعله غيره .
العجيب أن مسائل والخسوف والكسوف مما دلهم على قطعية الترتيب الأول أنهم حسبوا بناءاً عليه ، الخسوف والكسوف فخرج لهم خرجت لهم إجابات صحيحة حسبوه فطلع الكسوف فعلاً سيحدث الكسوف في يوم كذا في ساعة كذا وسيحدث الخسوف في يوم كذا في ساعة كذا في الزمن الأول فلما خرجت النتائج صحيحة وحصل والخسوف والكسوف في نفس الوقت اللي استنتجوه رياضياً قالوا إذاً ما بنيَّ عليه فهو صحيح فعظُمت المسألة في ذلك .
الحساب كان صحيحاً والمنسوب مختلف والآن تغيرت القاعدة والحساب أيضاً ظل صحيحاً وهذا تخرج منه بقاعدة أن الاحتمالات احتمالات التناسب غير محدودة وهذا يعرفونه الذين يدرسون الرياضيات ممكن مسألة تبرهن عليها بطريقة مبنية على مقدمات وتبرهن عليها ببرهان مختلف تماماً بمقدمات أخرى وتخرج نفس النتيجة ليش هذا يحدث لماذا ؟ .
لأن يكون التناسب واحد ، التناسب في المسائل واحد ، فتخرج النتائج سليمة ، تخرج النتائج هي هي ، يعني هذه قضية علمية طويلة ، فلا يعني اتفاق النتائج اتفاق الوسائل ولا اتفاق البرهان ، النتيجة قد تكون واحدة والطرق مختلفة تماماً وصلوا إلى الخسوف ، وقته وزمنه إلى آخره ، وصل إليه الأولون بوسيلة مختلفة عما عمله الآخرون لكن هل يعني هذا أن نظرية أولئك في الفلك هي نظرية الحاضرين ؟ لا كل واحدة لها شأن ، هل يعني أن

هذه صحيحة مائة في المائة وهذه صحيحة مائة في المائة ؟ لا ، لا يعني ذلك فإذن طالب العلم يتحرى في لفظه وفي تفكيره وفي معالجته للأشياء عنده الحق المطلق ما جاء في الكتاب والسنة إذا كان قطعي الدلالة ، إذا كان غير قطعي الدلالة فلا يجوز له أيضاً أن يحمل النصوص ما لا تحتمل فيجني على الشريعة برأي ويقول لا هذا دلالة القرآن والدلالة محتمله ليست قطعية فيجعل القرآن معارضاً للعلوم العصرية في أشياء تكون عند أهلها يقينية والذي ينبغي أن يفرق في هذا فيما يستعمله طالب العلم من الألفاظ يقول : هذا قطعي ويقول هذا ظاهر ويقول هذا غالب الاحتمال ، غالب المفهوم من القرآن أو ما أشبه ذلك مما يكون فيه احتراز لدينه ولفهمه وفكره وعقله والله المستعان .

س : القسم المقابل لقطعي الدلالة ما يطلق عليه ظني الدلالة ؟

ج : ولكن ظني الدلالة لا يعني التساوي ، تساوي الطرفين ، يعني إذا كان مثل ما يستعمل المعاصرون ، إذا صار تسعين في المائة أو عشرة في المائة صار ظني الدلالة ، إذا صار ستين في المائة وأربعين في المائة صار إيش ، إذا صار خمسين وخمسين ظني الدلالة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من العلم والعمل يا أرحم الراحمين ، اللهم ألهمنا رشدنا وقنا شر أنفسنا ومنَّ علينا بالتوفيق في كل شيء يا أرحم الراحمين أما بعد .

فهذه الآيات من سورة القمر اقتربت الساعة وانشق القمر فيها بيان متصل بما صدرت به السورة من أن الكافر لا تنفعه الآيات والبراهين والدلالات الواضحة على وحدانية الله جل وعلا فقال سبحانه اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر يعني مهما يروا من آية فإنهم يعرضون ويقولون عن تلك الآية هذا سحر مستمر يعني سُحِرت أبصارهم وليس ثم آية في حقيقتها وإنما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام بسحر سحر به أعينهم ثم قال وكذبوا واتبعوا أهوائهم يعني أنهم حين رأوا الآيات لم يصدقوا وإنما كذبوا ، وصفة تكذيبهم أنهم قالوا : هذه الآيات ليست بآيات على الحقيقة ، وإنما هي تأثير على أبصارنا وهي في الواقع آيات بينات ودلالات واضحة وبراهين على صدق محمد عليه الصلاة والسلام ولهذا قال بعدها واتبعوا أهوائهم لأن حقيقة تكذيبهم ليس لشبهة في المعجزة ولا لشبهة في الآية والبرهان وإنما لإتباع الهوى وإتباع الهوى معناه المضي وراءه ، اتبع الشيء يعني مشيَّ وراءه وكذلك اتبع الشيء وتبعه ، يكون لازماً اتبع فلان الشيء يعني متعدي إلى مفعول واحد ، وتبع الشيء بمعنى واحد واتبعه ، فصفة اتباعهم لهواهم أنهم هووا تكذيب النبي عليه الصلاة والسلام فلم يتأملوا في الآيات والبراهين وهذه حال كل من خالف الحق ، في أنه قرر شيئاً ثم تبع هواه في ذلك الشيء ، وإلا فالحقيقة أن الآيات والبيانات والدليل واضح في كل المسائل الشرعية المتفق عليها ، المجمع عليها وأعظمها توحيد الله جل وعلا في وربوبيته وألوهيته ، وأسمائه وصفاته ، وفي دلائل النبوة وفي دلائل

الغيبيات واليوم الآخر والحشر والنشر والقدر وكل هذه المسائل وأشباه تلك المسائل هذه كلها الآيات فيها بينة والأدلة واضحة وقد أجمع أهل السنة والجماعة بل أجمع من لم يسلك سبل الفلاسفة على هذه المسائل أجمعوا على الحق فيها ولذلك من خالفها فإنه خالف الحق لهوىٍ عنده لا لإلتباس في المسألة وكذلك من خالف في مسألة منها خالف في الصفات ، خالف في القدر بنفسه ، خالف في الإيمان بنفسه وأشباه هذا ، فإنه خالف لهوى عنده ، ولهذا قال جل وعلا هنا وكذبوا واتبعوا أهواءهم يعني وكذبوا وهم متبعون لأهوائهم والأمر سيتبين ولهذا قال وكل أمر مستقر يعني أن لكل نبأ مستقر كما قال في الآية الأخرى لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون كل أمر من الأمور له مستقره والخير كما قال لأهل الخير جاء ، والشر لأهل التكذيب جائي ، وحقائق الأخبار لها مستقر في تبيين أن أهل الإيمان لهم الجنة ، وأن الرسل صادقة ، وكذلك الأخبار في تعذيب أهل الكفر في الدنيا والآخرة لها مستقر وسيكون مستقرها بيِّن للجميع ، كلمة وكل أمر مستقر مستقر يعني له قراره ، له نهاية ، هذا أصل هذه الكلمة ، وهو الذي جاء استعماله في القرآن ، فما سمعت من تفسير الحافظ ابن كثير هو تفسير بما يشتمل عليه عموم قوله كُلُ أمرٍ يعني كل أمر يشمل جميع الأمور ، أمر المؤمنين وأمر الكافرين ، أمور الخير وأمور الشر ، أمور الكونيات والمرئيات والغائبات ، كل هذه تدخل في عموم قوله: كل أمر وكل أمر له استقراره واستقراره هو حقيقته التي تؤول إليه كما قال جل وعلا يوم يأتي تأويله يقول الذين

نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق يعني
يوم يأتي ما تؤول إليه أخباره وأوامره ونواهيه فلكل
نبأ مستقر ولكل أمر ونهي مُستقر والخير له مستقر
وقرار وهو أن يصيب أهل الخير وأهل الإيمان ،
والشر له مستقر وقرار في أن يصيب أهل الشر
أهل الكفر والعصيان والنفاق ونحو ذلك .
 ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر قوله
ولقد بيَّنَّا لكم مراراً أن اللام في لقد هذه واقعة
في جواب القسم ، قسم محذوف مقدر يعني :
والله لقد جاءهم ، لأن اللام هذه هي الواقعة في
جواب القسم وقد تحقيقية فاستفدنا التأكيد من
مجيء اللام ومن مجيء التحقيق بكلمة قد قد جاء
أمر ربك يعني تحقيقاً قد جاءهم من الأنباء يعني
على وجه التحقيق والتأكيد ، ثم أكده بالقسم فقال
ولقد جاءهم من الأنباء يعني من الآيات التي تنبئهم
عن ما كان في الزمن الماضي وما قص عليهم من
الأخبار وكذلك تنبئهم بما في السماء من الآيات وما
في الأرض من الآيات وكل ذلك فيه مزدجر لهم ، لو
كانت قلوبهم حيَّة ولكن لا حياة لمن تنادي ، قال
ولقد جاءهم من الأنباء والأنباء جمع نبأ وهو الخبر
ما فيه مزدجر كلمة مزدجر هذه يعني ما فيه سبب
ازدجارهم ما يكون زاجراً لهم ، ناهياً لهم عن
التكذيب ، ولكن لم ينفعهم ذلك ، وحقيقة الزجر فيه
في اللغة أن الزجر هو نهي معه وعيد أو تشديد
ولهذا كلمة زجر عند الفقهاء والأصوليين يستفاد منها
التحريم فهي أبلغ من نهى ، نهى فيها احتمال أن
يكون النهي للكراهة ولكن كلمة زجر هذه أشد ،
وقوله مزدجر فيها زيادة الدال هذه مما يفيد
زيادة المعنى يعني كأنه زجر بعد زجر كأنه زجر

مؤكد ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر * حكمة بالغة فما تغني النذر بيَّن لك الحافظ ابن كثير أن معنى حكمة بالغة كقوله جل وعلا في سورة الأنعام قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين فهداية من اهتدى ، وضلال من ضل فيه حكمة ، انتفاع من انتفع بالآيات وعدم انتفاع الآخرين فيه حكمة ، إصابة العذاب على من أصيب به ونجاة أتباع الرسل فيه حكمة ، دخول أهل الجنةِ الجنةَ ودخول الكافرين النار وتنعم في الأولين وعذاب الآخرين فيه حكمة ، إذاً حكمة الله جل وعلا ماضية ، وهذا فيه رد على من قال إن هداية المهتدي وضلال الضال ، وحصول الأشياء لا على وجه الحكمة ، وإنما هي كسبٌ من عند أنفسهم يعني هي من صنيع أنفسهم دون حكمة من الله في إضلال من شاء وإهداء من شاء ففي الحقيقة كل تصرف تراه أو كل تحريكة لساكن أو كل تغير في الأمور أو كل قدر تراه أمامك وقضاء ، هو نتيجة حكمة الله جل وعلا وذكرنا لكم مراراً أن الحكمة عرفت بتعريفات ومن أنسبها أن الحكمة هي وضع الأمور في مواضعها اللائقة بها ، الموافقة للغايات المحمودة منها فالحكمة تشتمل على عدل وعلى موافقة هذا العدل للغاية المحمودة المستقبلية منه ، وكلمة بالغة حكمة بالغة يعني بالغة في التأثير وبالغة في الاعتبار لو اعتبروا مبلغاً عظيماً ، حكمة عظيمة بالغة في نفوس المتقين ، ومن يعرف أسماء الله جل وعلا ويعلم صفاته ، بالغ مبلغاً عظيماً ولكن في الحقيقة ، فما تغني النذر ، يعني هذه الحكمة وهذا البيان وهذه الآيات وهذه النذر لا تنفع إلا من أذن الله جل وعلا بهدايته قال : فتول

عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر تول عنهم هذا أمر وقوله يوم يدع الداع إلى شيء نكر هذه يوم قد تكون متعلقة بتول عنهم وهذا فيه ضعف وقد تكون متعلقة بما بعدها وهذا هو الوجه ، يعني القارئ يقول فتول عنهم ثم تكون (يوم) ظرف لما بعدها يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعاً أبصارهم يعني تول عنهم الآن واتركهم واعرض عنهم كما في الآيات الأخر يوم يدع الداع إلى شيء نكر * خشعاً أبصارهم يعني أن حالتهم يوم القيامة أن أبصارهم خاشعة ، وأن ذلك اليوم يوم عليهم عسير قال : يوم يدع الداع الداعي هو داع الله جل وعلا وهذا الداعي هو إسرافيل حيث ينفخ في الصور ، فيمشي الناس يخرجون من قبورهم فيحشر أهل الإيمان إلى الرحمن وفداً راكبين على نجائب من نور ، تؤتى لهم من الجنة عند قبورهم فيركبون ، ويساق المشركون والكفار إلى جهنم وردا يساقون سوقاً عنيفاً حتى يأتوا أرض المحشر قال يوم يدع الداع يعني ينادي المنادي ، يدع الداعي : يعني ينادي المنادي يوم يدع الداع إلى شيء نكر نكر يعني منكر وهو منكر بمعنى أنه غير مألوف تنكره النفوس ، يعني تخاف منه وتهابه ، ويصيبها الهلع والخوف من رؤيته ولهذا سميَّ أحد الملكين مُنكر لما في صورته من عدم الإلف والبشاعة ويخافه المسئول يعني من أُدخل القبر (الميت) يوم يدع الداع إلى شيء نكر يعني إلى شيء منكر فظيع تخافه القلوب وتهلع منه وتستنكره لعدم إلفها له يوم يدع الداع إلى شيء نكر * خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جرادٌ منتشر * مهطعين إلى الداع يقول الكافرون

هذا يوم عسر مهطعين كما سمعت مسرعين ، مهطعين إلى الداعي يعني يستجيبون لا يتأخرون يقول الكافرون إذا رأوا هذا اليوم تذكروا ما كان من الرسالة والبيان هذا يومٌ عسر يعني هذا يومٌ عسير علينا وشديد وأما المؤمنون فإنهم يأمنون ويفرحون بفضل الله جل وعلا .

بسم الله الرحمن الرحيم

 كذبت قبلهم قوم نوحٍ فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر * فدعا ربه أنيِ مغلوبٌ فانتصر * ففتحنا عليهمِ أبواب السماء بماءٍ منهمر * وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمرِ قد قُدِر * وحملناه على ذات ألواحٍ ودُسرِ * تجري بأعيننا جزاءً لمن كان كفر * ولقد تركناها آية فهل من مدكر * فكيف كان عذابي ونُذُر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ن اللهم نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً ، اللهم ثبت العلم في قلوبنا ومُنَّ علينا بالفقه في دينك وبالوعي عن رسولك عليه الصلاة والسلام .. أما بعد

فهذه الآيات من سورة القمر مشتملة على ذكر قصة نوح عليه السلام مجملة ، وقدمت لك أن قصص الأنبياء في القرآن ، تارة تأتي مطولة وتارة تأتي مختصرة ، فقصة نوح طولت في عدة سور كسورة هود وسورة نوح وغير ذلك واختصرت جداً في سور كسورة الأنبياء ونحوها ، وهنا أيضاً جاءت بنوع من الاختصار وهذا يوافق المقصد من السورة فإنك كما ترى أن سورة القمر مشتملة على وعيد

من كذب بآيات النبي عليه الصلاة والسلام ، قال سبحانه ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر * وكذبوا واتبعوا أهواءهم ﴾ فلما كذب هؤلاء ذكر الله جل وعلا أمثلة ممن كذب الرسل وذكر ما أصابهم من الوعيد وذكر أن القرآن الذي ذكر فيه هذا الوعيد ، وذكرت فيه هذا القصص أنه يُسِّر ليتذكر العباد ما أنزل الله جل وعلا ويطيعوا الرسول ولا يكذبوه ولهذا قال هنا ﴿ كذبت قبلهم قوم نوحٍ فكذبوا عبدنا وقالوا مجنونٌ وازدجر ﴾ فقوله ﴿ ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ﴾ ابتدأ بقوم نوح لأنهم هم أول من كذب الرسل كما قال سبحانه ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ ومن كذب برسول فقد كذب بالرسل جميعاً لأن رسالة الله جل وعلا واحدة وما جاء به الرسل واحد فهو التوحيد وهو دين الله الذي ارتضاه لعباده من الدين العام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والبراءة من الشرك وأهله كما قال عليه الصلاة والسلام (الأنبياء أخوة لعلات الدين واحد والشرائع شتى) قال سبحانه هنا ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ﴾ ومجيء الفاء في قوله ﴿ فكذبوا عبدنا ﴾ هذه تسمى فاء التفصيل كأنه أجمل فقال كذبت قبلهم قوم نوح ثم بدأ يفصل كيف كذبوا وما موقف نوح منهم ففصل ما جاء مجملاً في قوله ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ﴾ وحقيقة التكذيب الرد وعدم اعتقاد الصدق وهم جمعوا بين الأمرين فلم يعتقدوا صدق الرسول وردوه أشدَّ ردَّ قال ﴿ فكذبوا عبدنا ﴾ وفي مجيء ذكر نوح هنا بقوله: ﴿ عبدنا ﴾ بالإضافة وذكر العبودية ، ما يشعر بأنه منتصر له وأنه غالب قومه ، وأن الحجة معه وأن العاقبة له

ولمن معه لأن إضافة العبودية هنا وصف نوح بالعبودية وإضافة نوح إلى الرب بنون العظمة فكذبوا عبدنا ما يقتضي أن يُنتصر له فقال سبحانه فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر وكلمة مجنون هذه ما من رسولٍ إلا وَوجِه بها كما قال سبحانه في سورة الذاريات كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسولٍ إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون * أتواصوا به بل هم قومٌ طاغون وحقيقة هذا الوصف هو عدم التأثير على الناس ، مجنون : يعني أصابه مسٌّ من الجن فغير عقله ، أو تغير عقله فصار لا يعي حقيقة ما يدعو إليه ، ولذلك لما رأوه على طول الزمان ، لما رأوه يصنع الفلك تحققوا جنونه ، لأنه ليس ثم بحر ولم يألف الناس ركوب الفلك ولا ركوب السفن في البحر ، وزاد من ذلك وصفهم له بأنه على جنون عليه السلام .

فقالوا مجنون وازدجر وكلمة وازدجر هذه من الزجر وزيد فيه التاء للمبالغة وللتأكيد ثم قلبت التاء دالاً لمناسبة الهمس ومخارج الحروف فقال : وازدجر يعني زُجر ، وزجر وزُجر ، فقال جل وعلا بعدها فدعا ربه أني مغلوب فانتصر وهذه الدعوة لم تكن منه على قومه سريعاً بل مكث فيهم كما هو معروف ألف سنة إلا خمسين عاماً * فأخذهم العذاب وهم ظالمون * فأنجيناه وأصحاب السفينة قوله إذن هنا فدعا ربه الفاء هنا كما هي في اللغة للترتيب ، ترتيب شيء على شيء ولا يقتضي فورية زمانية لأنه ترتيب مجيء شيء بعد شيء وقد يكون بينها مدة طويلة وقد يكون بينها مدة قصيرة وقد يكون هذا وراء هذا فوراً ولهذا لا يصح أن يقال : إن الفاء في اللغة تكون للترتيب الفوري ، فإن هذا

ليس بجيد وإنما هي للترتيب المناسب للحال ولهذا قال جل وعلا سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى * والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ومعلوم أن بين الإخراج وبين جعله غثاء أحوى بينها أشهر لكن الفاء هنا للترتيب أن هذا جاء بعد هذا وليس بينهما فاصل ويقول بعض المحققين في لغة العرب أن الترتيب يصح أن يقال : إنه للفورية لكن ليست فورية ظاهرة ولكنها فورية باطنة للأخذ بالأسباب ، فإذا كان يمشي في أسبابه ولو باطناً صح أن يقال ظاهراً هذا فكذا ، يعني يُرتب الثاني على الأول فنعلم أنه ثم فورية حاصلة لكنها فورية الأسباب ، وليست فورية الحصول الظاهر ، وهذا يدل عليه قوله جل وعلا فدعا ربه أني مغلوبٌ فانتصر * ففتحنا أبواب السماء بماءٍ منهمر * وفجرنا الأرض عيوناً وهذا يحتاج إلى وقت لا كما يفهمه بعض الوعَّاظ أنه مباشرة منذ انتهى من الدعاء فُجِّرت السماء والأرض بالماء قال فكذبوا عبدنا وقالوا مجنونٌ وازدجر * فدعا ربه هو كُذِب من أول يوم ، ومكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو مكذب فدعا ربه يعني بعد أن استيأس منهم ويئس من إيمانهم البتة فدعا ربه مجيء هنا ذكر المدعو بلفظ الربوبية ما يقتضي الانتصار أيضاً لأن قوله فدعا ربه يعني كأنه ربه دون غيره وذلك يقتضي القيام بمقتضيات الربوبية في حقه وهي إجابة الدعاء والانتصار لعبدنا وأشباه ذلك ففيها ذكر أو فيها توطئة لما سيحصل من انجاء الله له فدعا ربه أني مغلوب فانتصر كلمات وجيزة أني مغلوب فانتصر لي وقال ابن كثير عندك هنا يعني فانتصر لدينك ، وهذا ليس بجيد

فانتصر لي ، لأن المقصود أن ينصر على قومه قال : ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر يعني كثير وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر وهذا واضح وحملناه على ذات ألواح ودُسُر التي هي السفينة الألواح التي تُجمع والدسر التي هي المسامير هذه لأن الله جل وعلا علمه هذه الصنعة وجعل يصنع الفلك كما قال سبحانه ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه * قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون لأنهم لم يكونوا يألفون هذه الصناعة فعُلِمها نوح ولذلك كانت آية فيمن بعده وترك الصنع ولم تُرفع هذه الصُنعة بل بقيت في الناس نعمة من الله جل وعلا لسلوك البحر والماء قال وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا قوله وحملناه على كذا على ذات ألواح فيها إشعار بالنعمة وأن المرء لا ينسى حقيقة المنعم ، ومن أسدى بالنعم إذا هو سخر له شيءٌ من مخلوقات الله فمثل حالنا اليوم نحن حملنا على السيارات وحُملنا ، حملنا الله جل وعلا على الطائرات وحملنا على ما حمل سبحانه وتعالى منَّة منه وتفضلاً ، وهذا بتعليم الله جل وعلا لعباده ، فلهذا المؤمن دائماً لا يغيب عن حقيقة المنعم ، وحقيقة المنَّة والإنعام والفضل والإحسان بما يرى من التسخير بل دائماً معلق بأن الذي أنعم وتفضل هو الله جل وعلا فيشكر ويطيع ويستعمل ما أنعم عليه في طاعته قال وحملناه على ذات ألواح ودسر وهي السفينة تجري بأعيننا يعني على الماء تجري برعاية الله جل وعلا وكلأه وحفظه وعلى مرأى منه سبحانه وتعالى وهذه الآية فيها إثبات صفة العين لله جل وعلا وهي من جملة آيات

تدل على أن لله جل وعلا عينين . هنا جعلها جمعاً فقال ﴿ تجري بأعيننا ﴾ لأن القاعدة كما ذكرتها لك مراراً أن المثنى إذا أضيف إلى ضمير جمع فإنه يُجمع في اللغة لمناسبة اللفظ . كما قال سبحانه : ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ فإذا أضيف المثنى إلى ضمير تثنية أو ضمير جمع فإنه يُجمع وإن كان مثنى فليس فيها إثبات الأعين لله جل وعلا وإنما تفهم على قوله عليه الصلاة والسلام ((إن الدجّال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبه طافئة وإن ربكم ليس بأعور)) كما في الصحيح من حديث ابن مسعود .

هنا مناسبة لذكر أن هذا الإثبات للصفة قد لا يتعرض له المفسر بل يفسر بما دل عليه ظاهر الكلام ، وأكثر المفسرين يقولون ﴿ تجري بأعيننا ﴾ يعني بمرأي منا أو بكلاءتنا ورعايتنا وحفظنا وهذا ليس بتأويل لأن التفسير للصفة للآية التي فيها الصفة تارة يُفسر بالمطابقة وتارة يُفسر بالتضمن ، وتارة يُفسر باللازم ، والتفسير بالمطابقة يشتمل على إثبات الصفة والمعنى الذي دلت عليه الآية ، وتفسير التضمن أن يذكر أحد الأمرين إما أن يكون فيها إثبات الصفة ، ويترك تفسير الآية يعنى التفسير بما دل عليه السياق وإما إن يُفسر بما دل عليه السياق ويترك تفسير أو إثبات الصفة أو الاستدلال بالآية على إثبات الصفة .

والثالث : التفسير باللازم وهو أن لا يذكر لا الأول ولا الثاني وإنما ينتقل من هذه إلى شيء لازم بما دل عليه السياق وإذا فسره بالتضمن أو باللزوم ولم يذكر إثبات الصفة فلا يعنى أنه مؤول لأنه جرى كثير من المفسرين من السلف فمن بعدهم على

التفسير بالتضمن أو باللزوم . وهو الأكثر فيما إذا كان السياق ليس لإثبات الصفة ففرق هنا بين قوله تجرى بأعيننا في إثبات الصفة وبين قوله جل وعلا ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي وقوله بل يداه مبسوطتان وقوله ثم استوى على العرش فهذه بل يداه مبسوطتان   ما منعك أن تسجد لما خلق بيدي   ثم استوى على العرش المقصود منها إثبات الصفة . المقصود منها تقرير وصف الله خلاف تجرى بأعيننا وقوله فإنك بأعيننا وقوله جل وعلا ثم استوى إلى السماء لذلك تجد أن كثيرين من المفسرين يقول ثم استوى إلى السماء أي عمد وقصد ولا يذكر معنى الاستواء بمعنى الارتفاع . وهذا تفسير بالتضمن والفرق ما بين هذه السورة وهى التفسير بالتضمن والتفسير باللزوم والتأويل أن تنظر في حال المفسر فإن كان في المواضع التي فيها ذكر الصفة قصد أول فإن تفسيره في الموضع الثاني يُعد تأويلاً ، لأنه لم يقصد فيما سبق نصاً ، لم يقصد إثبات الصفة ، لم يقصد إلى الاستدلال بالآية على إثبات الصفة . فقد يقال هنا لما أنه فيما كانت الآية فيه صريحة في إثبات الصفة لم يُثبت الأول فكذلك فيما إذا كانت الآية فيها دلالة بالتضمن والالتزام ، كذلك من باب أولى أن يحيد عن الإثبات له التأويل ، ولهذا لا يستعجل في مثل هذا أن يقال هذا مؤول إذا ترك الإثبات مثل ما سمعت هنا من كلام الحافظ بن كثير وكذلك تراه عند قوله ثم استوى إلى السماء وعند قوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم قال هذا تشديد في أمر نكث البيعة ولم يتعرض لإثبات الصفة وذلك تفسير منه

بالتضمن لا يالمطابقة ، وهذا ليس بتأويل لأنه يثبت الصفة في موضع آخر فينتبه لذلك لأنه عند كثيرين يقولون هذا المفسر يؤول إذا رأوه في موضع يفسر بالتضمن أو باللزوم والفرق هو ما ذكرته لك قال : تجرى بأعيننا جزاءاً لمن كان كفر ولقد تركناها آية يعنى تركنا السفينة جنس السفينة باقية في الناس لتكون لهم آية وكون السفينة آية ، هذا من جهتين :
الجهة الأولى : أن تبقى دالة على إنجاء الله جل وعلا لنوح في ذريته وأنكم أيها الذرية اشكروا نعمة الله فإنه أنجاكم بهذه لأن ذرية نوح هم الباقون , كما قال سبحانه وجعلنا ذريته هم الباقين فلم يبقى إلا ذرية نوح ، وذرية نوح حملوا معه كما قال جل وعلا في فاتحة سورة الإسراء ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكورا .
والجهة الثانية : أن السفينة إنما ابتدأت بنوح فلذلك كلما تذكرها العبد كانت نعمة مستقلة فيما يسير فيه في الماء والبحر ونحو ذلك .كما قال جل وعلا وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون   وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في القراءة الأخرى ذرياتهم والذُريّات ، إما الجنس الأول وإما الآباء ، لأن الأب يطلق عليه .
الآباء يطلق عليه ذرية في قليل من اللغة لأنهم سبب في الذر قوله فهل من مدكر ولقد يسرنا القرآن للذكرى تيسير التلاوة تيسير الحفظ ، تيسير التفقه ، تيسير واسع . فهل من مدّكر ، مدّكر هذه فعلها إدّكر فلا إشكال فيها لا من جهة المادة ولا من جهة التصريف وذلك لقوله جل وعلا في سورة يوسف وقال الذي نجى منهما وادّكر بعد أمة أنا أنبؤكم بتأويله فأرسلون وادكر يعنى تذكر وقوله

هنا فهل من مدكر يعنى متذكر هذا من المعنى لكن اشتقاقها من الإدّكار فأدكر بمعنى تذكر لكن فيها مزيد معنى على التذكر وهو المبالغة في استحضار ما تذكر . فتذكر الشيء بعد نسيانه ، أبلغ منه إدّكر بعد نسيانه ، لأن في زيادة المبنى زيادة في المعنى كما هو معلوم .

بسم الله الرحمن الرحيم

 كذبت عادٌ فكيف كان عذابى ونُذُر * إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحسٍ مُستمر * تنزع الناس كأنهم أعجازُ نخلٍ مُنقعرٍ * فكيف كان عذابى ونُّر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكرٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه . اللهم إنا نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً وقلباً خاشعاً ودعاءً مسموعاً . ربنا لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين . وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . أما بعد

فهذه الآيات من سورة القمر . فيها ذكر تكذيب قوم آخرين كذبوا الرسل فحق وعيد الله جل وعلا عليهم . وهذه السورة كما ذكرنا فيها ذكر تكذيب قريش والعرب بأعظم الآيات . وهى آية انشقاق القمر حيث قال سبحانه اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر * وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ثم بين جل وعلا أن هؤلاء جاءهم من الآيات ما فيه زاجر لهم لو كانوا يعقلون . وبين أن هذا التكذيب ديدن أقوام الرسل لأنهم يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن أتبع هواه وضرب مثالاً للمكذبين . بمن كذب من الأقوام الكبيرة ، ومن المعلوم أن الرسل كثيرة أرسلوا إلى

أقوامهم لكن الله جل وعلا يمثل بتلك الأقوام الكبيرة العظيمة الذين كان لهم نفوذ ، وكان لهم بسطة في الأرض ، وكان لهم من الآثار ما يدل عليهم قال هنا بعد ذكر قصة نوح مع قومه كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وعاد كذبوا رسولهم هوداً عليه السلام . وثم سورة هي سورة هود فيها تفصيل قصته معهم فقال سبحانه : كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر * إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصرا في يوم نحس مستمر وتكذيب عاد كان بتكذيب الاستجابة للرسول عليه الصلاة والسلام ، فإن هوداً جاءهم وأخبرهم بأنه رسول فكذبوه تكذيبهم إياه على ما جاءهم به من التوحيد والرسالة المتضمنة لطاعة الله جل وعلا وطاعة رسوله ، وهود مع قومه عاد اختلف فيهم أهل العلم ، هل كان لهود آية وبينة وبرهان ، أم لم يكن له آية وبينة وبرهان ن من المعجزات التي تدل على صدقه كما كان الرسل تؤتى من الآيات والبراهين ما يؤمن على مثله البشر فقال كثيرون من أهل العلم ، إن هوداً لم يُعطى آية واستدلوا على ذلك بقوله جل وعلا في سورة هود قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فأخذوا من قوله ما جئتنا ببينة أن هود لم يؤت آية .

والقول الثاني : أن البينة والآية والبرهان أوتيه هود عليه السلام ولكنها كانت آية وبينة من نوع آخر ، فقد أوتيَّ كتاباً قرأه عليهم والآية التي فيها التحدي أنه كان واحداً ومع قوتهم وجبروتهم وبطشهم ، فإن هوداً تحداهم بنفسه ، فكانت أيته أنه وقف أمامهم على أنه وحده وأنذرهم وحده ، وأنذرهم بالعذاب

وهم يعارضونه ، وهذا من عظيم الآيات عند من يتأمل ذلك لأن الواحد في كونه يتلوا كتاباً ثم يقف ويتحدى ويتوكل على الله جل وعلا والذين يؤمنون به قليل ويمضي عليه زمان لا يتراخى عن دعوته ، ويُبلغ رسالة ربه ، ويتحدى تلك الأقوام الكثيرة وينصره الله جل وعلا ويؤيده فإن هذا دليل على أنه مؤيد وعلى أن أولئك مخذولون ولهذا في قولهم ما جئتنا ببينة عند أصحاب هذا القول يعني ببينة ظاهرة من آيات السماء أو آيات الأرض .

والقول الثاني : هو الأرجح والأظهر من أن البينة لم تكن من جنس الآيات والبراهين التي يعطاها الأنبياء والرسل بل كانت كتاباً وكانت تحدياً منه عليه السلام ، فقال جل وعلا هنا كذبت عاد يعني بالمرسلين فكيف كان عذابي ونذر وهذا من التخويف والإجمال لما أصابهم ثم فصل ذلك سبحانه وتعالى فقال إنَّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً وهذه الريح كما وصفها سبحانه وتعالى في قوله وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم * ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم وفي قوله في الآية الأخرى في سورة الأحقاف تدمر كل شيء بأمر ربها * فاصبحوا لا يرى إلا مساكنهم نسأل الله العافية ، فقوله ريحاً صرصراً يعني في صوتها يعني هذا وصف لصوتها وهذه الريح ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، كما أوضحنا لك في سورة الذاريات من أن العموم هنا عموم تنصيص في كل شيء أتت عليه .

فإذن آية الذاريات وآية الأحقاف ، لا تعارض بينهما لأن بقاء المساكن يدل على أن الريح لم تؤمر بأن تأخذ المساكن أو أن تمر عليها لقوله سبحانه ما

تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم وقال
في الآية الأخرى فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم
فدل على أنها ما تمر على شيء إلا جعلته كالرميم
وأن المساكن لو مرت عليها فإنها تجعلها كذلك .
قال سبحانه في يوم نحس مستمر وقوله
مستمر يعني مستمر عليهم لا على غيرهم ، وذلك
اليوم عند كثير من المفسرين هو يوم الأربعاء وظن
بعضهم أن قوله مستمر يعني أن ذلك اليوم هو يوم
الأربعاء يستمر نحسه وأنه من الأيام ، وأنه يوم
الأسبوع المشئوم ونحو ذلك ما يعتقده بعض الجهلة
مما شاع في بعض الكتب ، وهذا ليس بصحيح ،
فأيام الله جل وعلا سواء ، والنحس يكون بالعذاب
ففي قوله في يوم نحس مستمر يعني مستمر
عليهم من صباحه إلى مسائه لم يكن لهم فترة راحة
ولا كشف للعذاب ولا خفة في العذاب في ذلك
اليوم وأما يوم الأربعاء فهو كغيره من الأيام ليس
فيه نحس على غير أولئك وفي وصف اليوم بأنه
نحس مستمر ما يدل على أن وصف الأيام بأنها
نحس ، وأنها سود أو أنها مظلمة أو أنها مشؤومة أو
نحو ذلك فيمن أصيب بذلك لأنه لا بأس بذلك لأن
ذلك لا يدخل فيه سب الدهر ، فسب الدهر هو
شتمة ولعنه أو وصفه بالنقائض ، أما إذا وصف
الزمان بما وقع في أهله هذا يوم اسود يعني على
أهله ، هذا يوم نحس يوم مشؤوم ونحو ذلك فهذا لا
يدخل في سبَّ الدهر لأنه كما وصف الله جل وعلا
ذلك اليوم بقوله في يوم نحس مستمر وفي آية
سورة حَم ، فصلت قال في أيامٍ نحسات لنذيقهم
عذاب الخزي في الحياة الدنيا إلىَ آخره ، قال جل
وعلا في وصف تلك الريح تنزع الناس كأنهم أعجاز

نخل منقعر منقعر يعني مقلوب من شدة ما جاءه ، وهي تنزع الناس : يعني تخرجهم أو ترفعهم من مكانهم ثم تقلبهم ، وهذا الوصف أعجاز نخل منقعر معروف عند العرب في النخل التي تقلع من أماكنها وترمى يعني أنها صارت لا حياة فيها ، وصارت مرذولة وصارت منبوذة إلى آخر تلك الأوصاف قال جل وعلا بعدها فكيف كان عذابي ونذر وهذه الآية تتكرر في هذه السورة فكيف كان عذابي ونذر قال هنا كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ثم قال فكيف كان عذابي ونذر وتتكرر وذلك لأن العذاب لا يكون إلا بعد مجيء المنذرين إلا بعد مجيء الرسل فكيف كان عذابي ونذر يعني كيف كانت حالة العذاب وحالة الذين أنذروا من الرسل لا يكون العذاب إلا بعد إنذار ولا يكون الاستئصال إلا بعد بعث رسول كما قال جل وعلا وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فإذن لم يأتيهم العذاب هكذا فجأة بل جاءهم بعد إقامة الحُجَّة ، جاءهم بعد البيان جاءهم بعد الأعذار ، ولهذا هم الذين جنوا على أنفسهم وقد بينت لك أظن فيما سبق أن حقيقة العذاب في القرآن وفي اللغة أنه حبس ما يلائم النفس وإفاضة أضداد ذلك لأن كلمة عذاب هي مصدر أو أسم مصدر بمعنى التعذيب وهو أسم لما يقع ويقال : عذبه تعذيباً ، عذبه عذاباً أي تعذيباً ، وسمى العذاب عذاباً مأخوذ من عذب الماء وهو حبس الماء في إناء ليذهب كدره ويبقى في أعلى الإناء صافية مأخوذ من هذا الحبس ، ولهذا كل حبس لما يسر النفس يُقال له عذاب لهذا قال عليه الصلاة والسلام في وصف السفر (السفر قطعة من العذاب) لأن العذاب في حقيقته حبس ما يُلائم

النفس ، وإفاضة أضداد ذلك عليها ومعلوم أن ما يلائم النفس متنوع فإفاضة الأضداد متنوع ولهذا يتنوع العذاب وتتنوع مراتبه وذلك في الدنيا وفي الآخرة والعذاب الذي جاءهم والعياذ بالله هو عذاب الاستئصال وعذاب النكال في الدنيا وفي الآخرة والنفس تطمع في الخلود وتطمع في البقاء فأولئك أستؤصلوا بالعذاب وذلك بعد مجيء النذر ، والنذر جمع نذير كما ذكرنا لكم من قبل والنذير هو المنذر الذي جاء بالنذارة والنذارة تطلق على الإعلام الذي بعده مدة يمكن معها التصحيح يمكن معها اليقظة يمكن معها أن يتوب المرء أو أن ينتبه فالعرب تقول : أخبر ثم أنذر يعني في المراتب أخبر ثم أنذر ثم اشعر فالخبر عام والإنذار فيه تخويف وبعده مدة يمكن التدارك فيها والإشعار

وهو في مهل   قبل الصباح فقد عصى عمرو

واشتقاق المادة يطول الكلام عليه لكن ذكرنا لكم أظن مثل هذا الكلام من قبل قال سبحانه بعد ذلك ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ولقد مضى الكلام عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

 كذبت ثمود بالنذر * فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنَّا إذاً لفي ضلالٍ وسعر * ءألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذابٌ أشر * سيعلمون غداً من الكذاب الأشر * إنَّا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر * ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كُلُ شربٍ محتضر * فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر * فكيف كان عذاب ونذر * إنَّا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد

فأسأل الله جل وعلا لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من العلم والعمل يا أرحم الراحمين ، اللهم نعوذ بك أن نَزِلَ أو نُزَلَ أو نَضِلَ أو نُضَلَ أو نجهل أو يُجهل علينا أو نظلم أو نُظلم اللهم فأعذنا .

قال الله   كذبت ثمود بالنذر * فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنَّا إذاً لفي ضلالٍ وسُعُر كما ذكرنا لكم أن هذه السورة فيها بيان تكذيب العرب وتكذيب قريش بالآيات ، وذكر الله جل وعلا من قصص الأولين ما فيه بيان أن أقوام الرسل جميعاً كذبوا رسلهم ولم يقبلوا الرسالة إلا القليل ممن منَّ الله جل وعلا عليهم كما قال سبحانه وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وفي ذكر تكذيب الأقوام لرسلهم فيه فوائد في هذه السورة وفي غيرها ، ومن الفوائد : أن معرفة حال من كذب ممن سلف وما كانوا عليه من القوة والبطش والرفعة وكيف كانت رسلهم ، وأنهم لم يكرموا رسلهم ، ولم يرفعوهم ، بل اضطهدوهم وأذلوهم وأذوهم كيف آل أمرهم من الرفعة إلى الهوان وكيف أزال الله جل وعلا الأمر حتى صار بيد المؤمنين الذين كانوا أذلة وكانوا ضعفاء ومستضعفين فأظهر الله أمرهم .

وهذا يتكرر فكل رسول يُكذَّب وكل رسول يستضعف مع أن الرسل ترسل في أشراف أقوامها ولكن مع ذلك يردون عليه ويكذبون ويؤذون كما كانت حال المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فإذن فيها وعد بالنصر والرفعة لأهل التوحيد والإيمان

ووعيد على المكذبين المعرضين الذين لم يقبلوا الرسالة بأن أمرهم صائر ولا شك إلى عذاب وذل وانتكاس حال .
والفائدة الثانية : أن فيها تسلية وتسرية عن قلوب أهل التوحيد الذين قبلوا رسالة الرسل عليهم الصلاة والسلام فكل رسول يأتي بالتوحيد وبالكفر بالطاغوت وهذه سنة الله الماضية ففي ذكر رفعة أهل التوحيد بعد ما كان من رفعة المكذبين أن الأمر متشابه وما أشبه الليلة بالبارحة ، وأن الله جل وعلا كما نصر أولئك فإنه سينصر من بعدهم ، وكما أعلى دين القلة في الماضي من أتباع الرسل فإنه سيعلى دينه ، لأنه هو الذي يحفظ دينه كما قال جل وعلا إنَّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد وقال سبحانه كتب الله لأغلبنَّا أنا ورسلي وقال أيضاً   ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم ُ المنصورون ، وإن جندنا لهمُ الغالبون ونحو ذلك من الآيات .
والفائدة الثالثة : أن الإنسان قد يصده عن الحق رؤية تكاتف أهل الباطل ، تكاتف المشركين ، وتكاتف الرادِّين لرسالة النبي عليه الصلاة والسلام قد يصده عن الحق أو يضعف الحق في قلبه ، ما يراه من تجمع الجموع على ضد ما أنزل الله جل وعلا فيضعُف فإذا ذُكِرَ دائماً بان الله أرسل الرسل فقبلت الرسالة القليل وكذب بالرسالة الأكثرون ، ثم نصر الله ورفع القلَّة ، فإن هذا يقويه ويثبته في الإيمان ويسلي عنه ولا يجعله مرتاباً أو ضعيف التمسك وغير ذلك من الفوائد التي تُتأمل في كل سور القرآن .

قال جل وعلا هنا كذبت ثمود بالنذر وقد نقدم لك معناها فيما قبل ، يعني معنى التكذيب ومعنى النذر ، وثمود هم قوم صالحٌ معروفون مساكنهم أيضاً معروفة لديكم .
قال بعدها فقالوا أبشراً منا واحدا نتبعه الفاء هنا في قوله فقالوا هذه تفسير للتكذيب ، هي عاطفة وتفسير وبيان للتكذيب يعني كذبوا بقولهم أبشراً منا واحداً نتبعه   أبشراً منا البشر هو الإنسي الذي له ظهور ، لأن الجن لا يقال لهم بشر فمن كانت له بشرة ظاهرة قيل له بشر ومن لم يكن له بشرة ظاهرة فهذا لا يسمى بشراً ، وهذا موافق لأن الرسل كانت من الأنس دون غيرهم يعني للإنس وللجن أبشراً منا يعني من قومنا ومن قبيلتنا واحداً نتبعه ؟ يعني أنه ليس بذي أهلية أن يتبع وفي قوله في التنكير هنا أبشراً منا واحداً ثم يؤكده بقوله واحداً في قولهم فيه تنبيه على ازدرائهم وتحقيرهم للشأن لأن التنكير عند البلاغيين له فوائد يعني في بعض المقامات ومنها أن يكون لما ذكرته لك من تهوين الشأن ومن عدم المبالاة بالشيء إنَّا إذاً لفي ضلالٍ وسُعُر قولهم إنا إذاً لفي ضلال وسعر هنا تأكيد للكلام يعني لو اتبعنا فنحن في ضلال وسعر ونؤكد ذلك بهؤلاء الذين اتبعوا الرسول لأن مجيء إن واللام يفيد تأكيد الكلام في حق من هو مكذب أو مرتاب به فكأنهم متأكدون للغاية من أنهم لو اتبعوه صاروا في ضلال وفي عذاب لو اتبعوه فلذلك أكدوه بأن باللام والضلال في حقيقته اللغوية هو الذهاب عن الطريق أو الذهاب عن وجه الحق فلذلك يقال لمن نسيَّ ضل كما في قوله سبحانه أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما

الأخرى لأن الضلال ذهاب عن وجه الحق في الشيء فهذا نسيَّ فيذكرَّ كذلك يقال لمن ترك الحق الذي يعتقد أو يُعمل به في المسائل العلمية الإعتقادية أو في المسائل العملية أنه ضال بهذا المعنى ولهذا قالوا إنا إذاً لفي ضلال يعني ذاهبين عن وجه الحق بعيدين عن وجه الصواب ضالين لو اتبعناه لأنهم إذن مستيقنون بأن ما معهم حق نحن نعلم أن الذي عندنا حق لو اتبعناه لأصبحنا في ضلال يعني ذاهبين عن وجه الحق الذي يجب أن يتبع وسُعُر يعني في عذاب يُصيبنا ثم قالوا ءألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر يعني كيف يخص بإلقاء الذكر عليه من بيننا وهذه كلمة كل رسول كما قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام لولا أُنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال سبحانه أهم يقسمون رحمة ربك فإذن هذا الأمر ليس إليهم ءألقي الذكر عليه من بيننا هذا استغراب واستنكار لحصول ذلك أو لدعواه يعني كيف يُخص هو وثم من هو أشرف منه وثم من هو أعلى منه وثم من هو أحق به بذلك ثم كذبوه صريحاً بقولهم بل هو كذاب أشر وكلمة أشر تفيد بلوغ النهاية في الكذب لأن الأشر والشِرَّة وما يشتق من ذلك هو بلوغ النهاية في الشيء أو بلوغ العلو فيه كما جاء في الحديث (إن لكل عملٍ شَرِّه) يعني قوة وعنفوان بل هو كذابٌ أشرٌ يعني بلغ النهاية في حد الكذب وتجاوز فيه حتى صار مشاراً إليه به .

قال بعدها   سيعلمون غداً من الكذاب الأشر وغداً هذه إشارة لغدٍ في الدنيا لما سيصيبهم من العذاب وإلى غدٍ في الآخرة بما سيرون من حقيقة

من هو الكذاب إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر إرسال الناقة جمع ما بين كونه آية وبرهان على صدق الرسول ، وبين كونه فتنة والفتن ليست مذمومة كما قد يظنه من لا يفهم بل الفتنة قد يفتن الله جل وعلا الناس بالشيء المحمود الذي يُحبه ، وقد يفتنهم بالأمر المكروه لهم ، ولذلك يفرق بين مطلق الفتن ، وما بين مضلات الفتن فالنبي عليه الصلاة والسلام فتنة للناس يعني يختبر الناس به كما جاء في حديث عياض بن حمار الذي رواه مسلم في الصحيح أن الله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام (إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك) يعني يكون بعثه اختباراً وفتنة له عليه الصلاة والسلام واختباراً وفتنة للناس ولهذا يناسب التعوذ من مضلات الفتن ، أما الفتن فهي كثيرة جداً الأهل فتنة والمال فتنة وعمر الإنسان فتنة له ، وما يعطيه الله جل وعلا لعبده فتنة له ، الخير فتنة والشر فتنة كما قال سبحانه ونبلوكم بالشر والخير فتنة فإذن هنا هذه الآية العظيمة والبرهان فتنة لهم ولهذا يُتعوذ من المضلات ، هذا هو النوع الثاني من الفتن وهو المذموم مضلات الفتن يعني الفتنة يعني التي تضل العبد ، أما الفتنة التي ينقلب بعدها في خير فهذه محمودة قد تكون خيراً في نفسها وقد تكون تؤول بالعبد إلى خير فهذه محمودة قال إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر الناقة آية ليست من مألوف النوق لا في شكلها ولا في قدرتها ولا في كثرة أكلها وشربها يعني هي آية وبرهان دال على أن من جاء بها وصارت آية له أنه صادق في دعواه وهذا على ما ذكرت لكم من التفصيل في دروس العقيدة ، في معنى كون الآية آية وأنها

خارجة عما يألفه ويقدر عليه من جعلت آية له ، قال
 فتنة لهم   إنا مرسلو الناقة فتنة لهم والفتنة
في حقيقتها في اللغة العربية ما يختبر به الشيء
فالنار فتنة للذهب تختبر به ، والأهل فتنة لأنهم
يُختبرون به ، فإذن حقيقة الفتنة ما يحصل به
الافتتان هو الاختبار ، ولكنه اختبار خاص في شيء
عظيم قال فارتقبهم واصطبر يعني ارتقب ما
سيؤول إليه حالهم هل يصدقون أم يكذبون واصطبر
على ذلك يعني لا تستعجل فإنك لاقٍ وراءٍ ما
سيحصل لهم قال ونبؤهم أن الماء قسمة بينهم
كل شرب محتضر يعني الماء على كثرته هم
يشربون يوماً على كثرتهم والناقة تشرب يوماً لهم
شِرب وللناقة شرب ، شرب يومٍ معلوم وهذا من
الآيات العجيبة كيف أن ناقة واحدة تشرب ذاك الماء
الكثير ، وخرجوها من صخرة صمَّاء إلى آخر ما ذكره
ابن كثير قال كل شرب محتضر يعني أنهم
يحضرون في وقت شربهم وهي تحضر في وقت
شربها : فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر النداء قد
يكون صاحبهم قريباً منهم ، لكن النداء ولو كان
المرء قريباً تكون المناداة مفيدة أنهم طلبوا النصرة
، نادوا صاحبهم يعني قالوا : من يقوم بهذا الأمر ؟
من ينحر هذه الناقة ؟ من يعقر هذه الناقة ؟ من
يسقطها ؟ ففي قوله فنادوا صاحبهم ما يفيد
أنهم انتخوا في هذا وطلبوا أن يُقضى على هذه الآية
 فتعاطى يعني تجاسر على هذا الأمر العظيم
وتجرأ عليه ، فعقر الناقة ، والناقة آية من آيات الله
جل وعلا فهو في مقام من أبطل هذه الناقة التي
أمر الله جل وعلا باحترامها قال فكيف كان عذابي
ونذر يعني أنه لما فعل ذلك حصل العذاب بعد

حصول النذارة إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر القرآن فيه ذكر الصيحة في مواضع كثيرة وفيه ذكر الرجفة في مواضع وفيه ذكر العذاب في مواضع والصيحة قد تكون هي الأولى ثم تتبعها رجفة في الأقوام يعني ليس في هؤلاء بخصوصهم بل في الجملة يعني لا يتعين أن تكون الصيحة هي المهلكة فقط بدون رجفة بل قد تكون الصيحة معها رجفة ، تكون هي البداية ثم تتبعها رجفة فيهلكون وقد يكون ماتوا بالصيحة يعني بقوة الصوت صوت الملك الذي يصيح بهم فلا تتحمل أسماعهم وقلوبهم هذه الصيحة فيهلكون قال فكانوا كهشيم المحتظر يعني الهشيم الذي أصبح مصفراً منتهياً ليس فيه حياة ولا اخضرار اصبح هشيماً تذروه الرياح يعني انتهوا فلم تبقى منهم باقية .

قال ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر تيسير القرآن للذكر فيه فوائد عظيمة في أمر الدين ، وفي أمر التربية وفي أمر إصلاح القلوب وإصلاح الروح وعبادة الله ومعرفة سنن الأولين ، وما أجرى الله جل وعلا من سنته على السالفين ، فالقرآن ميسر للذكر وميسر لأخذ العبرة والعظة ولكن هل يقبل العباد أم لا ؟ هذا هو الشأن ..

بسم الله الرحمن الرحيم

 كذبت قوم لوط بالنذر * إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر * نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر * ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر * ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر * ولقد صبحهم بكرة عذاب

مستقر * فذوقوا عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، واجعلنا من عبادك الصالحين ، ربي ألهمني رشدي وقني شر نفسي أما بعد .

فهذه قصة أخرى من قصص أنبياء الله جل وعلا فيها بيان حال من كذب وفيها بيان حال من آمن وأن من آمن بالرسول فإن الله ينجيه إذا حل العذاب العام في الدنيا وينجيه إذا حل العذاب يوم القيامة ولوط عليه السلام من الرسل والنذر ، آمن بإبراهيم عليه السلام وصدق به واستجاب لما دعا الناس إليه من توحيد الله جل وعلا وكما قال سبحانه فآمن له لوط يعني صدق له واستجاب له فيما دعا إليه ولوط عليه السلام رجع إلى قومه محذراً لهم من عذاب الله جل وعلا آمراً لهم بالاستجابة لدينه وقوم لوط يشتركون مع غيرهم من الأقوام في أنهم كانوا مشركون بالله جل وعلا وذلك لعموم قوله جل وعلا ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت * فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وكذلك لعموم قوله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصو به بل هم قوم طاغون ولعموم آيات أخر لكنهم اختصوا بفعلة قبيحة لم يؤخرهم الله جل وعلا كما أخر من كان مشركاً ، فإن الله سبحانه أخر أقواماً مشركين ، والرسل تجادلهم ، والرسل تأمرهم وتنها هم وتسر لهم بالدعوة وتعلن الحكمة لله في ذلك ولكن هؤلاء لما

كانوا على هذه الفعلة القبيحة عوجلوا بالعذاب قال سبحانه هنا : كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر * نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر وقصة لوط مع قومه ذكر لك ابن كثير هنا مختصرها وهي مفرقة في عدد من السور وخلاصتها أن قوم لوط كانوا مفتونين بإتيان الذكور من العالمين شهوة واستمتاع بما أودع الله جل وعلا في الفطر خلافه ، فكانوا يحبون الذكران وينصرفون عن النساء واستمر بهم ذلك فنهاهم عنه لوط عليه السلام ، في جملة ما نهاهم عنه ولكن لما كان ذلك مخالفاً للفطرة واشتدوا ورغبوا في أضيافه من الملائكة عجلوا بالعذاب ، لوط عليه السلام لم يؤمن به أحد من الرجال وإنما آمن به بناته دون غيرهم فنجاهم الله جل وعلا وأوحى إليهم ، وقضى الأمر أن دابر القوم مقطوع مصبحين .

ذكر لك أنه جاءه الملائكة وأنه لما جاءته الملائكة كما في سورة هود وفي غيرها أن القوم ، قومه جاءوا إليه يهرعون إليه لما علا في الملائكة من الجمال والصباحة والنور ، فجاءوا يظنونهم رجالاً كما عهدوا من الرجال فلما أتوا ورغبوا وجادلهم لوط ومنعهم خرج إليهم جبريل ، فطمس أعينهم بأمر الله جل وعلا كما قال هنا فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ثم أسري ، أو سرى لوط مع بناته قبل الفجر ثم صبحهم بكرة عذاب مستقر ، وقرى قوم لوط تسمى المؤتفكة كما جاء في سورة النجمة والمؤتفكة أهوى يعني أهوى القرية ، المؤتفكة يعني التي أُفكت ، يعني التي قلبت على أهلها وتسمَّى المؤتفكات أيضاً بجمعها لكونها أحياءاً

أو لكونها قريً متلاصقة فبعد أن قلبت في السماء ، أُتبعوا بحجارة وهو معنى قوله هنا ﴿ إنا أرسلنا عليهم حاصباً ﴾ والحاصب هي الحجارة الصغيرة التي يُحصب بها ، وهذه الحجارة بعد أن قلبت عليهم حتى جاء في الأخبار أنها لما رفعت قريتهم لما رفعها جبريل كان يُسمع صياح كلابهم في السماء فقلبت عليهم وأفكت عليهم ثم أُتبعوا الحجارة بعد أن نجى الله جل وعلا لوطاً .

قال سبحانه هنا ﴿ كذبت قوم لوطٍ بالنذر ﴾ ولوط عليه السلام مؤمن برسل الله جلَ وعلا جميعاً ، ودعا إلى تصديقه والإستجابة له وإلى ما دعت إليه الرسل من توحيد الله جل وعلا وطاعته وطاعة الرسول فيما يأمرهم به وينهاهم ، فكذبوا بلوط ولما كذبوا بلوط كانوا مكذبين بكل نذير لأن النذر تأتي جميعاً بنذارة واحدة وبدين واحد ليسوا مختلفين ويصلح هذا دليلاً يعني الجمع بالنذر تكذيبهم بالنذر يصلح دليلاً على أنهم لم يكونوا على التوحيد إضافة إلى ما كانوا عليه من تلك الفعلة القبيحة قال ﴿ إنا أرسلنا عليهم حاصباً ﴾ والإرسال يكون فيه تتابع بخلاف الرمي فإنه قد يكون مرة واحدة ثم يقف فنفهم من قوله تعالى ﴿ إنا أرسلنا عليهم حاصباً ﴾ أن هذا الحاصب تتابع عليهم مُدة حتى هلكوا جميعاً قال : ﴿ إلا آل لوط ﴾ كلمة آل هذه أصلها في اللغة أهل ، والألف الثانية منقلبة عن الهاء ، أهل وآل ، وآل النبي هم أهل النبي ، وآل لوط هم أهل لوط والأهل والآل متقاربة أيضاً في دلالتها الثانية يعني بعد توسع أو بعد الاختصاص في أن كلمة أهل تطلق على الزوج يعني المرأة وعلى الأولاد وعلى الأخ وعلى من في البيت هذه كلمة أهل كما قال سبحانه

في قصة نوح أنه قال إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق ولهذا كلمة أهل تعم القريبين الذين يعيشون في البيت من الزوجة والأولاد والإخوان وحتى الوالد والوالدة وكلمة آل بهذا المعنى ويزيد عليها أيضاً ممن اتبعه سواءً أكان قريباً أم لم يكن قريباً لأنه في حكم يعني في الشرع بدلالة الشرع لا بدلالة اللغة لأنه ألصق بمن اتبعه من أهله ، فإن الله جل وعلا لما قال عن نوح إنه ليس من أهلك مع إنه من أبنائه قال إنه عمل غير صالح فلهذا قال العلماء في تفسير آل النبي بالمعنى العام أنهم المتقون أنهم أتباعه المقتفون لسنته فإذن هنا في قوله إلا آل لوط اجتمع فيهم الوصفان ، اجتمع إنهم اتباعه على دينه وأنهم أيضاً أهل بيته وهم بناته قال نجيناهم بسحر والسحر هو ما قبل الفجر بقليل هذا حقيقة السحر ما قبل الفجر بقليل حتى يدخل الفجر وسميَّ سحراً لأنه يخفي فيه طلوع الفجر يخفى فيه اختلاط البياض بالسواد وهذه حقيقة السحر في اللغة أنه عبارة عما خفي ولطف سببه ولهذا قيل للنفس سحر وللرئة سحر وللوقت الخفي هذا سحر فيما صار فيه نوع خفي واختلاط في هذه المواضع سميَّ لذلك سحراً .

قال نعمة من عندنا فهذه النجاة وهذا الإخبار إخبار الملائكة لهم وقضاء الأمر بأن يخرجوا هذا في الحقيقة شيء لا يستحقونه ابتداءاً وإنما هذا هو فضل من الله جل وعلا وإنما لو هلكوا معهم بعثوا على نيَّاتهم ومقاصدهم ، ولكن الله جل وعلا لم يهلك نبيَّاً مع قومه

عاقبة الكافرين وعاقبة المؤمنين هنا تفضل الله عليهم بهذه النجاة فقال نعمة من عندنا يعني

ذلك الإنجاء نعمة من الله جل وعلا قال بعدها كذلك نجزي من شكر يعني أن استحقاقهم لهذه النعمة وهي الانجاء جزاء على شكرهم لله جل وعلا بتوحيده واتباع رسوله وتصديق ما جاء به من عند الله جل وعلا قال :   كذلك نجزي من شكر فإذن في هذا دليل على أن الله جل وعلا يجزي بشكر النعمة نعمة أخرى فكما أنه يجزي الشاكر بالحسنات وبدفع السيئات فكذلك يجزيه بنعم متجددة فالشاكر يزاد من النعم كما قال سبحانه وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم يعني من النعم فجزاء شكر النعمة نعمة مجددة من الله قال هنا نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر وحقيقة النعمة في اللغة ما يحصل به التنعم تنعم الجسد أو تنعم الروح فلهذا الدين نعمة لأنه يحصل به التنعم في الدنيا وفي الأخرى تنعم الروح وربما تنعم الجسد في الدنيا وتنعم الجسد والروح جميعاً في القبر وفي الجنة فكل ما يحصل به التنعم يُقال له نعمة ويقال له أيضاً نعمة بفتح النون مع فرق ما بين النِعمة والنَعمة لهذا قال في هذا الانجاء نعمة لأنه حصل لهم به من النعيم أو التنعم كذلك نجزي من شكر ، في القرآن فرق ما بين نجزي ونجازي ويشتركان في الجزاء ، فالجزاء يكون للحسنات للسيئات يكون الجزاء للمطيع ولغير المطيع وأما نجزي ونجازي ، فنجازي للكافر لنعم الله أو لغير المطيع ونجزي للمطيع ولغيره ، فإذن صارت هنا نجازي خاصة ونجزي وجزاء هذه عامة

الشكر في الشرع يكون بأشياء يكون بالاعتقاد ويكون بالقول وبالعمل فلا يسمى العبد شاكراً حتى يجمع ما بين اعتقاد صحيح في الله جل وعلا واعتقاد

صحيح في أداء هذه النعمة ونسبتها إلى الله وإضافتها إلى من أسداها وإلى قول يعبر به هذا عن الشكر من توحيد الله قولاً ، والثناء عليه ونسبة هذه النعم إليه قولاً والشكر بالعمل كما قال اعملوا آل داود شكراً فحقيقة الشكر في الشريعة : ـ

1 ـ قول 2ـ وعمل 3 ـ واعتقاد

فالاعتقاد ركن الشكر وكذلك القول وكذلك العمل وتفصيل الكلام على الشكر يطول ، تطلبونه من مظانه قال سبحانه بعدها ولقد أنذرهم بطشتنا نبهنا كم مراراً على أن كلمة لقد هذه هي قد التي دخلت عليها اللام الواقعة في جواب قسم مقدر ، أصل الكلام والله لقد أنذرهم بطشتنا ، والله لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه وهكذا فقد للتحقيق واللام واقعة في جواب القسم فصار عندنا في كلمة لقد أنواع من التأكيد بقد وباللام وبالقسم قال ولقد أنذرهم بطشتنا البطشة هي الأخذة الشديدة التي فيها غضب وفيها اقتدار وقوة فتماروا تماروا يعني شكوا وصاروا في مرية من ذلك وأيضاً في لفظ التفاعل هذا تماروا ما يفيد أن بعضهم حدث بعضاً وأوصى بعضهم بعضاً بهذه المرية تماروا بالنذر يعني صار بعضهم يماري بعضاً يشكك بعضاً في ما أنذرهم به رسولهم قال ولقد راودوه عن ضيفه * فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر هذه واضحة قال ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر بكرة يعني في الصباح الباكر وقوله هنا عذاب مستقر يعني كان العذاب مستقراً يعني قراراً لهم لم ينجوا منهم بعده أحد فعذابهم صار مستقراً يعني متوالي حتى صار قراراً لهم يعني لم يتخلف عن أحد منهم ثم قال سبحانه : فذوقوا عذابي ونذر

وهذا فيه ذوقوا هذا أمر للتهديد والوعيد والاستعلاء فذوقوا عذابي ونذر يعني الذي كنتم تكذبون به من العذاب والإنذار ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وهذه مرَّ معنا تفسيرها وكذلك تفسير العذاب والنذر في اللغة وفي القرآن .

 ولقد جاء آل فرعون النذر * كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيزي مقتدر * أكفراكم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر * أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً إلى يوم الدين ....أما بعد .

فهذا تفسير قول الله جل وعلا ولقد جاء آل فرعون النذر * كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر قوله هنا ولقد جاء آل فرعون النذر فسرها لك ابن كثير بقوله يقول تعالى مخبراً عن فرعون وقومه ، وهذا لأجل أن كلمة آل ترجع إلى من تبع الرجل في دينه فقوله ولقد جاء آل فرعون يعني من كان على ملة فرعون وعلى دين فرعون جاءتهم النذر يعني جاءهم موسى وهارون بالرسالة ولقد ذكرنا لك من قبل أن آل هذه أصلها أهل يعني الهمزة الثانية منقلبة عن هاء لقرب المخرج وأن آل الرجل وأهله هم قرابته أو المشاركون له في النسب ، أو المشاركون له في الدين وفرعون اسم لمن ملك أهل مصر ، فهو ليس اسماً لواحد وإنما

هو اسم لجنس الملوك كما إن قيصر اسم لملك الروم وكما أن النجاشي اسم لمن ملك الحبشة وهكذا في أمثاله .
والنذر أيضاً مرَّ معنا أن النذر جمع نذير وخُصت الرسالة بالنذارة دون البشارة ، مع أن النذير والبشير في رسالة الرسل هم الرسل أنفسهم فالرسل نُذُر ومبشرين كما قال سبحانه رسلاً مبشرين ومنذرين فلما خص رسالة الرسل بالإنذار وهذا في كثير من الآيات خص رسالة الرسل بالإنذار دون البشارة وذلك لأن ما هم عليه من الشرك والكفر يعني الأقوام يستلزم الإنذار والتخويف ولهذا النبي عليه الصلاة والسلام لما دعا الناس دعا أهل مكة فأقبلوا عليه قال لهم : إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد والإنذار فيه التخويف وبعد التخويف يكون قبول البشارة ولهذا لابد من العناية بالتخويف في الدعوة والتخويف في تبليغ رسالة المرسلين فعرض البشائر دون النذر لا يوافق منهج الأنبياء والمرسلين بل كانوا يُخوفون من خالف طريق الرسل وخالف رسالة الله ويبشرون من قبل الرسالة فإذن لابد من التخويف والنفس لا يصلح شأنها إلا بأن تُخوَّف وإذا قبلت تُبشَّر فمن قبل الرسالة ورفع بها رأساً واستقام عليها يعني على أمر الله وعلى ما جاء به رسوله عليه الصلاة والسلام فاستحق البشارة وإلا فهو منذر يعني مخوف بعذاب شديد من الله .
قال بعدها كذبوا بآياتنا كلها حقيقة التكذيب هو الرد ردَّ ما جاءت به الرسل من الحق ، وعدم قبول ذلك واعتقاد أنه لايطابق الواقع ولا يوافق الحقيقة والآيات التي جاء بها موسى وهارون إلى قوم

فرعون كثيرة متنوعة أعظمها التوراة فيما أنزل الله جل وعلا على موسى وما في الألواح ثم الآيات التسع المعروفة التي قال الله جل وعلا في تعدادها ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين الآية فهذه الآيات منها ما يذكرهم ويخوفهم بأن ما هم عليه باطل وضلال ومنها ما يبين حق الله جل وعلا وقصة فرعون مع موسى عليه السلام وهارون وحديث الفتون الطويل المعروف أو قصة موسى وكيف تدرج في الأمر إلى أن أرسله الله جل وعلا إلى فرعون وقومه معروفة ومبسوطة في القرآن في مواضع كثيرة قال سبحانه كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر والأخذة هي العقاب الشديد والأخذة تختص في الغالب بأخذة الأسف والانتقام كما قال سبحانه وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليمٌ شديد وقوله فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر العزيز المقتدر هو الله جل وعلا يعني ليس بأخذ راج ولا بأخذ خائف ، وإنما كان ذلك الأخذ من آثار عزة الله جل وعلا ، أن تكذب رسله أو أن تُجحد آياته والعزيز في أسماء الله جل وعلا له عدة معانٍ :

الأول : أن العزيز هو الذي عزَّ فلا يرام جنابه ولا يهان سلطانه كما قال ابن القيم في تفسيرها :

وهو العزيز فلن يرام جـنابه   أنَّى يُرام جناب ذي السلطان

والمعنى الثاني للعزيز العزيز بمعنى الفتوى الذي كانت قوته عن غلبة على الجميع

والعزيز وهو الثالث : بمعنى القاهر الغلاب كما قال أيضاً :

وهو العزيز القاهر الغـلاب لم يغلبه شيء في هذه الأكوان
وهو العزيز بقوة هي وصفه فالعز حينئذ ثلاث معــانٍ
وهي التي قد كملت له سبحانه .
فإذن عزة الله جل وعلا تنشأ عنها آثار :
فمن آثارها أن الله ينتصر لأوليائه وينتصر لرسله أن يكذبوا أو أن تهان رسل الله جل وعلا ولهذا كان حقاً على الله جل وعلا أن ينصر عباده المؤمنين وأن ينصر أنبياءه أن ينصر أولياءه أن ينصر رسله أن ينصر أهل الإيمان الصادقين لأن نصرهم من آثار عزة الله جل وعلا فهم المبلغون عن الله وهم المجاهدون في سبيل الله فلابد من نصرهم في الدنيا وفي الآخرة إما نصر سنان وإما نصر حُجَّة وبيان ومن آثار اسم الله العزيز فيما يختص بهذه القصة يعني قصة موسى وفرعون أن الله جل وعلا أخذ فرعون الذي أدعى الألوهية ونبذه فصار عبرة للمعتبرين لمن أتى بعدهم إلى أزمان متطاولة ومن آثار عزة الله جل وعلا في قصة فرعون أن الله سبحانه انتصر لهؤلاء القليل الشرذمة المعدودين الذين ليس عندهم سلاح ولا عندهم مال ولا عندهم سلطة ولكن الله جل وعلا أعزهم بعزته فجعلهم أعزاء بعد ذلة وجعلهم رفعاء بعد دون وجعلهم أقوياء بعد ضعف وهذا من إفاضة العزة على عباد الله ولهذا فالعزة التي للنبي عليه الصلاة والسلام من آثار عزة الله سبحانه وتعالى والعزة التي يتصف بها المؤمن تخلقاً وشرعاً هذه من آثار عزة الله جل وعلا يعني أن الله سبحانه يُعطي بعض أولياءه ويعطي خواص عباده عزة خاصة مع العزة العامة

التي تكون لكل مؤمن وهذا يدخل في معنى قوله
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا
يعلمون فعزة الله جل وعلا إذن هي قهره وغلبته
هي قوته جل وعلا هي أنه سبحانه لا يوصل إليه ولا
يُغلب ولا يُرام جنابه ولا يؤثر في سلطانه سبحانه
وتعالى .قال أخذ عزيز مقتدر والمقتدر يعنى ذا
القدرة وهو سبحانه موصوف بأنه ذو قدرة وأنه
سبحانه قدير ، وكلمة مقتدر ليست في أسماء الله
جل وعلا الحسنى ، وذلك لأن كلمة قدير فيها
المبالغة في وصف القدرة ، فهي أوسع معنى
وأعظم أثراً وفيها المبالغة التي يعنى من حيث البناء
لأنها فعيل ، المبالغة الدالة على عظم القدرة وعلى
شمولها وسعتها .
وهذا معنى قوله كذبوا بآياتنا كلها * فأخذناهم أخذ
عزيز مقتدر ثم قال سبحانه أكفاركم خير من
أولئكم الآن هذا الخطاب لمشركي قريش ،
ومشركي العرب الذين أرسل إليهم النبي عليه
الصلاة والسلام ، يعنى بعد أن سمعتم هذه القصص
عن الأنبياء من قصة نوح عليه السلام إلى موسى
عليه السلام ، وما أصاب الله جل وعلا به الأقوام
الذين كفروا برسالة الرسل هل كفاركم خير من
أولئكم ما الفرق بينكم وبينهم الكل يجمعهم أنهم
كفروا بالرسالة وبالله جل وعلا وجحدوا رسالة
المرسلين ، وأبو الانقياد ، ما الفرق بينكم وبينهم
كلكم واحد في ذلك : أكفاركم خير من أولئكم
يعني وأولئك لما حاق بهم العذاب لتكذيبهم فأنتم
أيضاً سيصلكم العذاب فانتظروه إنا منتظرون . قال
 أكفاركم خير يعنى أئنتم الذين كفروا خير من
أولئك الذين كفروا أم لكم براءة في الزُبر يعنى

أم لكم براءة فيما كتب الله جل وعلا في كتبه فلا يصلكم ذلك ، هل بينكم وبين الله جل وعلا عهد في ذلك برأكم الله جل وعلا فتحملون ذلك في كتاب تبينونه لا شيء من ذلك إذن فليس ثم فرق بينكم وبين تلك الأقوام فلابد أن العذاب حائق بمن لم يؤمن برسالة محمد عليه الصلاة والسلام . وكلمة خير أصلها أخير يعنى هي أفعل تفضيل لكن في خير وشر تحذف الهمز لكثرة الاستعمال فيقال خير من كذا يعنى أخير من كذا ، لكن ما تستعمل أخير شر من كذا يعنى أشر من كذا فقوله خير من أولئك يعنى أكثر خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر وأولئكم هذه فيها إشارة والإشارة هذه فيها بعد ، وهذا البعد فيه المعنيان : بعد الزمان وهو بعد حسي . وفيه أيضاً البعد المعنوي : وهو أن الكافر بعيد وإن كان قريبا ومؤخر وإن كان مقدما لأنه في الحقيقة يقعد به كفره وتقعد به ملته . قال أم لكم براءة في الزبر ومجيء أم مع الهمز كثير أو هو الأصل في اللغة ، وأما مجيء أو بعد الهمز فقليل وبعض العلماء يقول : ليس بالفصيح ، يعنى في مثل هذا الاستعمال وكذلك مجيء أم مع هل . هل يكون كذا أم كذا يقولون ليس بالفصيح يعنى إذا أريد المعنى هذا والصحيح أن ذلك جائز كله لأنه قد جاء في السنة . في صحيح البخاري وغيره في استعمال كما هو معروف في مبحثه في النحو .

قال أم لكم براءة في الزبر البراءة يعنى التبرئة والزُبر جمع زبور والزبور هو ما يُزبر فيه وهو الكتاب لأن زبر بمعنى كتب ، والزبور بمعنى المكتوب فتقول زبرت الرسالة إذا كتبتها وتقول زبر الكتاب

إذا ملأه بالتعليقات وهكذا ومنه سمي كتاب داود عليه السلام . الزبور .

والكلمة المقاربة لها زُبر ﴿ ء آتوني زُبر الحديد ﴾ لا تلك مادة أخرى وبعض أهل العلم يجمع بينها ، بين المادتين يعنى في أصل الاشتقاق ، لأن الكلمات كلها من فعل ، وكلها زاي وباء وراء . لأن الأصل فيها الجمع في بحث اشتقاقي قد يطول تفصيله يعنى لأن هذا فيه جمع حروف . الزبر جمع حروف ، وزُبَرَ الحديد يعنى مجموعات الحديد التي تكون مع بعضها البعض .

يعنى إذا مرت بكم مثل هذه التفصيلات القليلة راجعوها يعنى حتى يكون عندكم اتساع في فهم اشتقاقات الألفاظ القرآنية التي ترد في القرآن ، لأن ألفاظ القرآن قليلة يعنى التي يكثر ورودها يمكن أن تكون لك مقدمة في فهم معاني كلمات القرآن التي يكثر ورودها وهذا مما ينبغي على طالب العلم أن يتحراه يعني الكلمات الكثيرة كثيرة الورود يطالع اشتقاقها واستعمالها وما يتعلق بها .

قال ﴿ أم لكم براءة في الزبر ﴾ يعنى أم معكم من الله جل وعلا تبرئة بأن لا يأتيكم عذاب ولا نكال في كتاب من كتبه ، هل عندكم شهادة بذلك هل عندكم تبرئة لا شك أنهم ليسوا خيراً من أولئك وليس معهم تبرئة فإذاً لابد أن يكون العذاب حائقاً بهم لم يبق إلا احتمال واحد ، وهو أن يقول : ليس معنى هذا ولا هذا ولكن سينصر بعضنا بعضا ، وسيعين بعضنا بعضا وسنغلبكم أيها المؤمنون سنغلبكم أيها المدعون الرسالة أو المتبعون للرسول ولهذا قال بعدها ﴿ أم يقولون أم نخن جميع منتصر ﴾ أنه يبقي هذا الاحتمال .

قال سبحانه سيهزم الجمع لأنه لما كان بعضهم ينصر بعضاً في ظنهم قال   سيهزم الجمع ويولون الدبر وكلمة سيهزم هذه حرف السين هذا يدل على قرب الوقوع كما هو معلوم سيهزم الجمع يعنى قريباً   ويولون الدبر يعنى قريباً وهذا حصل في غزوة بدر كما هو معلوم وكما ساق ابن كثير حديث البخاري دعاء النبي عليه الصلاة والسلام ، ولما فرغ من دعائه بعد قول أبي بكر يا رسول الله مهلاً إلحاحك على ربك . أو لقد ألححت على ربك ، أو بعض مناشدتك ربك في روايات فإن الله منجزك ما وعدك ، فخرج عليه الصلاة والسلام وهو يقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وهذا يعنى أن القريب الذي يدل عليه حرف السين في أنه قد يكون بعد سنين عددا ، وأن السنين في زمان الله جل وعلا قريبة مهما كانت بعيدة . ولذلك الساعة قريبة اقتربت الساعة في أولها وانشق القمر الساعة قريبة مهما كانت بعيدة ، ولهذا قال هنا سيهزم الجمع يعنى عما قريب . وفي قوله سيهزم يعني مجيء السين هنا فيه تشديد الإنذار والتبكيت على أولئك المشركين وفيه أفراح المؤمنين ووعدهم بالنصر القريب العاجل ، وهذا فيه تسلية وفيه رفع لما في النفس ، وفيه عظم التعلق بالله جل وعلا ونصرة رسوله وفيه الثبات على الإيمان بما يشاء الله جل وعلا لعباده قال ويولون الدبر يعنى ويولون معطين أدبارهم أو يولون غيرهم الدبر يعنى دبرهم ، وهذه معناه الفرار أو الهزيمة وهذا هو الذي حصل بحمد الله جل وعلا ومنته يوم الفرقان يوم التقى الجمعان .

قال سبحانه في آخر هذه الجملة من الآيات ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ يعنى أن هذا الذي وصف من أنهم سيهزمون وأنهم سيحيق بهم بعض العذاب في هذه الدنيا ، أن هذا يسير بالنسبة إلى عذاب السعير يوم القيامة ولذلك قال ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ والساعة .. لم يذكر ابن كثير هنا ما يتصل بمعناها ، والمراد بها هنا يوم القيامة وما فيه من الأهوال ، أو النار والجحيم بنفسه وسمى يوم القيامة بالساعة لأسباب أو لعلل منها :

1ـ : أنه قريب . وإذا قلت تأتي الساعة يعنى كأن هذه الساعة فهو لقربه كأنه هذا الوقت الذي بين يديك كما تقول أتيتك الساعة أو أتيك الساعة يعنى الآن لشدة قرب الوقت ، ويوم القيامة سمى الساعة لأجل قرب مجيئه ، وكأنه لقربه متصل بهذا الزمان الذي يعيش فيه الناس في الدنيا والساعة ساعة واحدة .

والساعة في اللغة : هي الزمان القليل ليست هي الساعة في وقتنا هذا ، قد يكون أكثر من ساعة يعنى خمس ساعات . ست ساعات يقال لها ساعة وقد تكون الساعة أقل من ذلك يعنى بعض الساعة المعروفة عندنا . يدل على الأول قول النبي عليه الصلاة والسلام لما دخل مكة ((وإنما أُحِلت لي ساعة من نهار)) وكانت تلك الساعة من الفجر إلى العصر يعنى ساعات كثيرة لكنها الساعة لتقليلها بالنسبة لما يقع فيها بالنسبة للشأن العظيم الذي يقع فيها يقال لها ساعة .

المعنى الثاني : أو العلة الثانية السبب الثاني : لإطلاق الساعة على يوم القيامة أنها منصرمة

بسرعة كما تنصرم الساعة بسرعة ، يعنى أن يوم القيامة وقته وإن طال فهو قليل بالنسبة إلى أي شيء بالنسبة إلى ما بعده من الزمان ، يعنى خلود أهل الجنة في الجنة فلا موت وخلود أهل النار في النار فلا موت .

قال والساعة أدهى وأمر أدهى يعنى أنها داهية تأتي فتفاجأ وترعب وتُحزن وأمرّ فيما فيها من شدة الهول وشدة العذاب ومن شدة الكرب ومن شدة الحزن فإنها أشد مرارة وأشد عذاب وأشد نكال .

بسم الله الرحمن الرحيم

 إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر * وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر * ولقد أهلكنا أشيائكم فهل من مدكر * وكل شيء فعلوه في الزبر * وكل صغير وكبير مستطر * إن المتقين في جنات ونهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .... أما بعد .

فقد سمعتم كلام الحافظ بن كثير رحمه الله تعالى على هذه الآيات العظيمة من آخر سورة القمر اقتربت الساعة وانشق القمر وقد أطال في بيان أصل من أصول الدين ، وركن من أركان الإيمان ألا وهو الإيمان بقدر الله جل وعلا خيره وشره منه سبحانه ، وهذه طريقة للحافظ بن كثير لأنه يأخذ مناسبة دلت عليها الآية ثم يفيض في بيان ما دلت عليه السنة مما يدخل في معنى الآية أو فيما دلت عليه الآية وهذا وجيه ، وهو اعتمده في تفسيره من

أوله إلى آخره لأن سنة النبي عليه الصلاة والسلام هي بيان للقرآن ، والنبي عليه الصلاة والسلام أنزل إليه الذكر ومعه الحكمة التي هي السنة ليبين للناس ما نُزل إليهم ، لهذا في القرآن مجملات وفي السنة التفصيل سواء في أصول الإيمان أو في التوحيد أو في أمور العبادات أو في الأخلاق أو في غير ذلك فالقرآن ما فرط الله جل وعلا فيه من شيء ، بل فيه كل الشريعة ، وما في السنة هو بيان للقرآن العظيم ، لهذا تجد أن الحافظ بن كثير يأخذ كلمة أو معنى في آية ثم يفيض بما دلت عليه السنة في معنى تلك الآية .

قال جل وعلا إن المجرمين في ضلال وسُعُر * يوم يسبحون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر المجرمون اسم لأهل الإجرام . لأن المجرم اسم فاعل الإجرام ، والإجرام في حقيقته هو تعدى الحدود بلا مبالاة ، وارتكاب المنهي بلا مبالاة ولا مراعاة بل لا ينظر فيه إلى نظر الخلق . بمعناه اللغوي ولا ينظر فيه إلى ترهيب وتخويف الشريعة وترهيب الله جل وعلا في المعنى الشرعي ولهذا جمع لك ابن كثير في تفسير المجرمين والمراد بهم ما بين الكفار وأهل البدع . بين الكفار وأهل الموبقات لأنهم يشتركون في هذا الوصف الذي ذكرت . فقال إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر . في ضلال ، ضلال في الدنيا والآخرة ، وأما السُعر فهو الشدة التي تصيب المسعور بحيث أنه يكون كالكلب الذي صار مسعوراً يلهث ويطلب ما ليس له ويتعدى .

يعنى وصفهم بأنهم كالكلاب المسعورة ، وهذا وصف كل من ترك الدين ولهث وراء الدنيا والله جل وعلا يمثل من ترك الحق والشريعة والهدى بالكلب . كما قال سبحانه واتل عليهم نبأ الذي أتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين إلى أن قال فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فالمجرم في ضلال عن الحق . وهذا الضلال الذي هو فيه ليس بسبب عدم وضوح الحق . بل بسبب إعراضه عن الحق أو عدم تطلبه لكشف الشبهة التي لديه في الحق إن كان
لهذا قال في ضلال يعنى ضلوا عن الحق وأسباب الضلال كثيرة . توعد الله جل وعلا أهل الإجرام بقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر وكلمة في النار على وجوههم تشمل ما قبل دخول النار فتكون في بمعنى إلى كما قال يوم يُدعون إلى نار جهنم دعًا * هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ونحو ذلك من الآيات يوم يسحبون في النار يعنى إلى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر . وفي بمعنى الظرفية يعنى يكون أحدهم داخل النار قال ذوقوا مس سقر والمسيس هو مس الجلد مسّه يعنى بجلده بظاهره . ولهذا عبر عن ذلك بقوله ذوقوا مس سقر ذاق الشيء يعنى عرفه بظاهره يعنى في أصله العام أو فيما يلابسه أو ما يُلابس مثل ما جاء في الحديث ((ذاق طعم الإيمان من رضى الله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً يعنى أول ما يدخل في الإيمان رضى هذه الأصول فإنه يذوق طعم الإيمان . ثم للإيمان حلاوة . ثم للإيمان بشاشة في الصدر ، وذلك درجات . المقصود أن

قوله ذوقوا مس سقر يعنى أول ما تصيبهم يقول لهم ذوقوا والأمر هنا للإهانة وللتهديد ذوقوا مس سقر كما في قوله ذق إنك أنت العزيز الكريم هذا أمر إهانة وأمر تبكيت وإذلال . نسأل الله العافية ثم قال سبحانه إنا كل شيء خلقناه بقدر * وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر * وكل شيء فعلوه في الزبر * وكل صغير وكيبر مستطر
أفاض الحافظ بن كثير فيما سمعت في ذكر القدر وما دلت عليه الآيات كقوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا وكما في قوله سبح باسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى ونحو ذلك من الأدلة على قدر الله سبحانه وتعالى .
القدر : يشمل شيئين مضيا ويشمل أمرين بقيا . أما الماضيان فهما علم الله جل وعلا وكتابته سبحانه للأشياء في اللوح المحفوظ كما قال وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر أما الشيئان أو الأمران الباقيان فهما عموم خلق الله جل وعلا للأشياء ومشيئته النافذة فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن . ودل على هاذين الباقيين قوله تعالى وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر فأمره سبحانه فيه مشيئته وفيه خلقه جل وعلا لأن المراد بالأمر هنا . الأمر الكوني الذي به تحدث الأشياء والابتداع في القدر لا شك أنه مراتب كثيرة فمن من خالف في القدر الجبرية ومنهم القدرية وهم الذين ابتدءوا المخالفة في القدر وقالوا إن الله سبحانه ينزه عن تقدير الشر وقالوا : إن الله سبحانه لا يعلم بالأشياء قبل وقوعها ونحو ذلك ثم غلت طائفة في الإثبات وصاروا جبرية فسلبوا الإنسان اختياره

وإرادته . وجعلوا الله جل وعلا هو الذي يفعل كل شيء دون اختيار من العبد وكل هذين ضال .
وأما قوله أن هذه الآيات نزلت في القدرية مع كونها نزلت في المشركين الذين جاجوا في القدر فهذا يُعنى به ما دلت عليه الآيات أنها تشمل هؤلاء لأن سبب النزول أو نزلت الآية في كذا عند السلف أعم من خصوص السبب الذي هو نزلها أول مرة فيستعملون أعنى الصحابة ومن بعدهم يستعملون كلمة نزلت في كذا إذا كانت نزلت فيه ابتداءً أو نزلت فيه مرة ثانية تأكيداً أو هو الثالث إن تكون الآية تشمل هذه الفئة فيقال نزلت فيهم لأن الله جل وعلا بكل شيء عليم
والمشركون مشركوا العرب قدريّة لأنهم ينفون القدر ويخاصمون بالقدر أحكام الله جل وعلا فالمشركون كانوا يحتجون على أفعالهم بالقدر . كما قالوا في الميتة ذبيحة الله خير من ذبيحتنا . وكما قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آبائنا ولا حرمنا من شيء . لهذا اسم القدرية يشمل طوائف من تلك الطوائف إبليس ومن معه وهم رأس المحتجين بالقدر على مضادة الأمر والشريعة قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وهؤلاء يقال لهم القدرية الإبليسية . وفيهم فئة في العرب .
ومنهم القدرية النفاة . ومنهم القدرية الذين يحتجون على ضلالهم بقدر الله جل وعلا مطلقاً وقد جمعهم ابن تيمية في أبيات له حيث يقول .

ويدعى خصوم الله يوم معادهم   إلى النار طرّاً معـشر القدرية

يعنى يا معشر القدرية يدعون يوم القيامة بهذا الاسم سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به الله أو

ماروا به في الشريعة فجعلهم ثلاث فئات الذين ينفون القدر أو سعوا ليخاصموا به الله يعنى يحتجون على الله جل وعلا في تكليفه وأمره ونهيه بالقدر أو ماروا به في الشريعة يعنى ردوا بعض الأحكام بالقدر كما قال مشركو قريش : ذبيحة الله خير من ذبيحتنا يعنون حل الميتة ولأجل هذا المعنى وهو الممارات في الشريعة جعل السلف . الكلام في القدر شركاً لأن الله جل وعلا لما ذكر الذين خاصموا الشريعة بالقدر وصفهم بالشرك فقال وقال الذين أشركوا لو شاء الله وقال سبحانه ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق * وإن الشياطين ليوفون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعمتموهم إنكم لمشركون يعنى في الاحتجاج بالقدر ورد الشريعة بهذا النوع لهذا قال ابن عباس وابن عمر وجماعة لما سمعوا بالذين ينفون القدر . قالوا هذا أول شرك في الإسلام وليس هو بالشرك الذي هو في الحقيقة تنديد في العبادة ولكنه تنديد في الاعتقاد . لأنه يعتقد أنه يخلق والله جل وعلا ليس آذنا بهذا الشيء فالعبد يتصرف والله سبحانه لا يعلم تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا . ولأن المشركين الأولين كانوا أصل فرقة القدرية بل إبليس هو أساس ذلك والعياذ بالله .
المقصود أن كلام الحافظ بن كثير هذا متنوع وهو واضح ومبحث القدر لا تقرر عليكم هذه الأيام في شرح الطحاوية لكن هنا في مباحث إجمالية ذكرها ابن كثير أما الأحاديث فيها ذكر القدرية . والقدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم . وإن ماتوا فلا تشهدوهم فالصواب أن هذه لا تصح

مرفوعة إلى النبي عليه الصلاة والسلام وإنما موقوفة على الصحابة على ابن عمر وعلى غيره . وبعض أهل العلم لأجل كثرة الطرق حسنها كالحافظ بن حجر وغيره ولكن فيها نظر كما هو قول جمع من أئمة أهل العلم المتقدمين .
قال سبحانه إنا كل شيء خلقناه بقدر يعنى خلقنا كل شيء بقدر ، وكل شيء يدخل فيها ما يصح أن يعلم من الأشياء سواء في ذلك المعاني الباطنة أو الأشياء التي تحصل ظاهراً ولذلك قال كل شيء بقدر حتى العجز والكيس يعنى بقدر ، فالمعاني بقدر ، والأمور النفسية بقدر ، والخواطر بقدر ، وكذلك الأفعال بقدر ، وكذلك الأقوال وما يحدث بقدر يعنى أن الله سبحانه قدره قبل وقوعه . علمه وكتبه وشاءه وخلقه قال إنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة يعنى إذا أراد الله جل وعلا شيئاً وشاءه يعنى كونا فإنه يأمر به فيكون بسرعة كلمح البصر ، سواء في ذلك الأعمال القليلة ، أو الأعمال الجليلة العظيمة ، مثل قيام الساعة . كما قال في سورة النحل وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب فالله سبحانه لا يعجزه شيء وذلك لكمال قدرة سبحانه . وكمال قوته وقهره وجبروته وقدرته .
معنى الإيمان بالقدر في الحقيقة : أن يُسَلِّم المرء لله جل وعلا في أنه إذا حدث شيء فإنما حدث بقدر الله سبحانه ، مثل ما قال الصحابي رضى الله عنه لابنه وهو يعظه في ذكر القدر لما سأله وما الإيمان أو كيف الإيمان بالقدر قال : أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطئك لم يكن ليصيبك ، وقال جاء في عدة أحاديث عن النبي عليه الصلاة

والسلام قال وما أمرنا يعنى الكوني : إلا واحدة
 يعنى بكلمة واحدة لا تحتاج إلى تكرير ، ولا تحتاج
إلى مشاورة ، ولا تحتاج إلى رد لها بل هو واحدة
سريعة وبها ينفذ أمر الله جل وعلا كلمح بالبصر
واللمح الخطف السريع وهو انتقاله من جهة إلى
جهة لمح البصر ، إذا ركزت على جهة ببصرك ثم
انتقلت إلى الجهة الثانية بسرعة هذا هو لمح البصر .
أنظر إليك الآن ثم أقول هكذا ، فهذا لمح البصر
السريع يعنى انتقاله من جهة إلى جهة بسرعة قال
سبحانه بعد ذلك ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من
مدكر يعنى فهل من متذكر بعد أن أهلك الأولون ،
وأهلك الأنصار ، وأهلك الأشياع وأهلك المناصرون
فهل من متذكر حقيقة حاله وما يجب عليه لله جل
وعلا ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر * وكل
شيء فعلوه في الزُبر كل شيء هذا عام لا يخرج
منه فرد من الأفراد وهو إن كان ظاهراً في العموم
فلا يخرج عنه فرد من الأفراد ، فكل ما يصدر عنهم
مكتوب عليهم والزبر جمع زبور وهو ما يزبر يعنى
يكتب . والمقصود به في هذا الموطن صحف
الملائكة يعنى الصحف التي بأيدي الملائكة التي فيها
التقدير التفصيلي السنوي وأما المتعلق بالشخص
نفسه وأما في اللوح المحفوظ . فهو في كتاب واحد
في لوح واحد لا يسمى اللوح المحفوظ زبرا . وإنما
الزبر المتعددة وهى ما في صحف الملائكة مما كتبه
الله جل وعلا فيها .
قال وكل صغير وكبير مستطر وهذه الآية فسرها
ابن كثير كما سمعت بأن المقصود منها ما يصدر
عنه من الأعمال الصغيرة والكبيرة وما يقولون من
الأقوال الصغيرة والكبيرة كلها مسطرة مكتوبة

وكل صغير وكبير مستطر يعنى مسطر عليهم ومكتوب كما في قوله ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد يعنى معد للكتابة كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون وهذا وجه من التفسير ظاهر لدلالة الأدلة عليه .
والوجه الثاني : أن قوله وكل صغير وكبير مستطر هو في معنى الآيات التي قبله لأنه في ذكر القدر لأن الآيات التي قبله في القدر وكل شيء فعلوه في الزبر : وكل صغير وكبير من الأشياء مستطر مسطر ومكتوب قدراً لا حصولاً منهم فإذن في الآية وجهان من التفسير اللي ذكره ابن كثير في هذا الموطن وهو أنه ما يصدر عنه من الأعمال . والثاني وهو أنسب عندي وهو أن يكون سياق الآيات في الكتابة كتابة الله جل وعلا للمقادير ذكر القدر إنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر وذكر الكتابة العامة في قوله وكل صغير وكبير مستطر وذكر الكتابة الخاصة وكل شيء فعلوه في الزبر . ثم قال سبحانه إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر هذا فيه البشارة وفيه الحظ والحث لأن القرآن إذا رغّب رهّب أرهب إذا حث على شيء نهى عن ضده . وإذا بين حال الكفرة والمجرمين بين حال أهل الصلاح والطاعة وأتباع الرسل والمتقين . ولما ذكر حال المجرمين إن المجرمين في ضلال وسعر بيّن حال المتقين وهم الذين يخافون الله جل وعلا فقال إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر مقعد صدق كقوله قدم صدق يعنى في الجنة لأنها صدق لا كذب فيه ولأنها ميراث الصدق كما في قوله والذي جاء

بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون والمتقون في قوله هنا إن المتقين هم الذين قامت بهم التقوى . والتقوى في القرآن أمر الله جل وعلا بها وأثنى على أهلها الذين هم ثلاث فئات . وتكون التقوى على ذلك ثلاث درجات . أما الدرجة الأولى من التقوى فهي التي خوطب بها الناس جميعاً كما في قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلت الساعة شيء عظيم ونحو ذلك من الآيات فقوله يا أيها الناس اتقوا ربكم يعنى اخشوه وخافوه بترك الشرك ونبذه والبراءة منه و الإتيان بتوحيد الله جل وعلا فإذن الموحد أو الذي أسلم لتوه قد اتقى الله في أول واجبات التقوى ، وهو الإسلام وترك الشرك وهجر الشرك وأهله فإذن هذه التقوى تفسر بالإسلام : اتقوا ربكم يعنى بأن تسلموا .

أما الدرجة الثانية : فهي أن يُتقى الله جل وعلا بطاعة رسوله والعمل بكتابه فيما جاء فيه من الأخبار والاعتقادات والأحكام في الأمر والنهي ، وهذه حاصلها راجعة إلى الاعتقاد الصحيح وإلى ترك المحرمات ، والعمل بالواجبات فمن ترك المحرمات وعمل الواجبات وصار مقتصداً يعنى عمل بالطاعة وترك المحرم فإنه من المتقين أهل هذه المرتبة بخصوصها فأهل التوحيد متقون على اختلاف درجاتهم . وأما المرتبة الثالثة من التقوى فهي تقوى الله جل وعلا حق تقاته . كما أمر في ذلك في قوله يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون

والتقوى هذه التي هي أرفع درجات التقوى هي للخاصة ، وهى أن يعمل بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله ، وأن يترك معصية الله على

نور من الله يخشى عقاب الله ، وأن يترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس ، وهذه مرتبة عظيمة سئل عمر رضى الله عنه عن التقوى فقال : ألم تسر في طريق ذي شوك قال : بلى قال : ما صنعت ؟ قال شمّرت يعنى رفعت ثوبي وتخيرت موضع قدمي يعنى حتى لا يصيبه الشوك قال : شمرت ثوبي وتخيرت موضع قدمي قال فتلك التقوى ونظمها ابن المعتز في أبياته المشهورة بقوله

خلي الذنوب كبيرها وصغيرها ذاك التـــقى
واصنع كماشي فوق أرض الشوك يخدر ما يرى
لا تحقر صغيرة إن الجبـــــال من الحصى .

المقصود : أهل كل طبقة من هذه الطبقات . أهل الإسلام العام من أسلم ولو كان من أهل الذنوب أو كان مقتصداً أو كان سابقاً بالخيرات .
المرتبة الثالثة : كل هؤلاء أورثوا لكتاب ، وكل هؤلاء متقون على اختلاف درجاتهم في التقوى . وكل هؤلاء يدخلون في الآية إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر وهذا تفسير أهل السنة لذلك لا يفسرون الوعد بالجنة لمن كان على مرتبة خاصة في الإيمان وفي الصلاح كأهل المرتبة الثالثة أو كان تاركاً للمحرمات فاعل للواجبات فقط . بل كل مسلم له نصيبه من ذلك حتى وإن طهر من ذنبه بأنواع التطهير فإنه لابد له أن يكون من أهل هذا المآل : إن المتقين في جنات ونهر ونهر وفي القراءة الأخرى في القرآن كلمة نهر بالتسكين . هما بمعنى واحد . والنهر هو المعروف وهو نهرٌ ونَهَر كما في قوله في سورة الكهف وفجرنا خلالها نهر وبقراءة نافع نَهرَا ونحو ذلك

في مواضعه في القرآن وأفرد النهر هنا مع كونها أنهاراً قال ﴿ في جنات ونهر ﴾ مع كونها أنهاراً كما قال في الآية الأخرى في سورة محمد ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهاراً من ماءٍ غير ءاسن .... إلى آخره ﴾ لأجل الجنس يعنى إرادة الجنس لغة ولأجل رعاية الفاصلة أيضاً بلاغة قال ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ ومقعد الصدق هو الجنة والعنديّة هنا في قوله ﴿ عند مليك مقتدر ﴾ تفيد العلو لأن من أدلة العلو مجيء عند في القرآن ﴿ والذين عند ربك ﴾ ﴿ عند ربك ﴾ يعنى في العلو ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ يعنى في العلو عند الله جل وعلا . فأهل الجنة درجات تترقى تختلف . وأهل النار دركات . تنزل حتى أسفل سافلين وكلما بُعد العبد عن أسفل سافلين كان خيراً له . والذين في أعلى النار خير ممن في أسفلها . ثم أدنى أهل الجنة منزلة يتراءى فيه أهل الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدري يعنى بعيدة مثل ما تشوف النجم البعيد هكذا يسطع ، وهذا يعنى أن الجنة عظيمة واسعة جداً كما قال سبحانه ﴿ وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض ﴾ وقوله ﴿ وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ﴾ فالمقصود ذكر العندية وهى أنها عندية علو . ومليك . مليك فعيل فيها مبالغة من مالك ومن ملك ، ومليك مبالغة من مالك باعتبار ملك الأشياء وفيها مبالغة يعنى من حيث الصياغة اللغوية من ملك الذي هو له ملك الأشياء وقد ذكرنا لكم الفرق ما بين ملك ومالك والملكِ والملك والمِلك والمُلك أظن أني ذكرتها لكم في موطن لكن لعلنا نكررها كما ذكرناها . وهو أن مليك فعيل وأصل فعيل صيغ المبالغة تكون من

اسم الفاعل . فاعل يعنى مالك . والمالك هو الذي له الملك والمِلك بالكسرة في كلام كثير من العلماء اللغة غير الملك بالضم فالملك بالكسرة هو من يملك الأعيان والذوات والمعاني ملك مثل ما تملك أنت المال يعنى من جهة أنه يملكها في ذواتها وأما المُلك بالضمٍ فهو نفوز الأمر والنهى فقد يكون الفرق له ملكً وليس له مِلك مثل الملك . ملك البلد والخليفة ونحو ذلك له مُلك وليس له مِلك يعنى المُلك له تؤتي المُلك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء يعنى نفوز الأمر والنهى يأمر فيطاع . وينهى فيطاع هذا هو الملك وأما المِلك بالكسرة فهو حيازة الأشياء وتملك الأشياء يعنى في ذواتها وأعيانها . المقصود أن قوله جل وعلا هنا : عند مليك مقتدر يشمل الأمرين .

1 : يشـــــمل المِلك والمُلك لأن مليك من صـــــيغ المبالغة في من مالك أو لمِالك . صـــــيغ المبالغة لمالك وذلك فيه دلالة على الملك .

ولذلك رجح أو فضل كثير من أهل العلم بالقراءة قراءة مالِك يوم الدين على ملِك يوم الدين لأجل أن مالك تشمل المِلك والمُلك تشمل التصرف والحيازة وتشمل أيضاً نفوذ الأمر والنهى لأن من ملك الشيء يتصرف فيه لكن قد يكون ملكاً لا مالكاً فلا تكون الأشياء في حيازته استقلالاً ومقتدر يعنى له القدرة التامة جل ربنا وتعاظم وتقدس .

وهذا آخر تفسير سورة اقتربت الساعة وانشق القمر ولله الحمد والمنة .

أسأل الله أن ينفعني وإياكم بهذا القرآن العظيم وأن يفقهنا في الدين وأن يعلمنا التأويل ولا شك أن أعظم ما يعتني به العبد التفسير .

والتفسير فيه إهمال من الطلبة . طلبة العلم والشباب والمشائخ فيه إهمال للتفسير يعنى بعض الإهمال لابد من العناية بالتفسير لأنه كيف كلام الله جل وعلا إذا ما فهمت كلام الله جل وعلا تتوجه لفهم كلام العلماء . كلام العلماء كلام الله جل وعلا وكلام رسوله بل السنة كما ذكرت لك هي لبيان القرآن . القرآن حجة لك أو حجة عليك ولا يجوز هجر القرآن وهجر تدبره وهجر تفسيره وقال الرسول الله ((يا ربّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا)) لذلك في ختام تفسير هذه السورة أوصى نفسي وإياكم بالاعتناء بالتفسير . التفسير تفسير السلف وربط ذلك باللغة لأن هذا من أعظم ما ينفع طالب العلم في التفسير أن يعلم تفاسير السلف وما جاء في السنة مما يدخل في معنى الآية ثم ربط ذلك بالمعاني اللغوية لأن القرآن أنزل بلسان عربي فإذا فهمته لغة وفهمت كلام السلف وما جاء في السنة وما يدخل في هذه الآية حصل لك غالباً المعنى الصحيح ولا يكون حينئذ إشكال في فهم القرآن وفقني الله وإياكم لما فيه رضاه .

س :

على ما يشاء مما يطلبون يعنى أهل الجنة ويريدون هو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ما فيها شيء لا بأس يعنى في مثل هذا السياق ما فيه بأس قدرة الله جل وعلا والأخ يذكر قول لابن كثير : هو مقتدر على ما يشاء والقدرة معلوم أن مذهب أهل السنة والجماعة بل أن ما دلت عليه الأدلة هو أن المشيئة على أن القدرة متعلقة بعموم الأشياء أو متعلقة بكل شيء كما قال سبحانه ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ فهو سبحانه قدير على كل شيء فالقدرة

متعلقة بكل شيء . وأما أهل البدع وخاصة الجبرية والأشاعرة ومن نحا نحوهم فيقولون مقتدر على ما يشاء . على ما يشاء قدير وكل شيء في القرآن يفسرونها بما يشاء يقولون وأما ما لم يشأه فلا تتعلق به القدرة . وهذا غلط لأن الله جل وعلا يقول في كتابه في سورة الأنعام قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً * ويذيق بعضكم بأس بعض   قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم قال النبي عليه الصلاة والسلام (أعوذ بوجهك) أو من تحت أرجلكم قال عليه الصلاة والسلام أعوذ بوجهك قال أو يلبسكم شيعاً قال هذه أهون وقال عليه الصلاة والسلام (سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة فدل هذا على أن القدرة تعلقت بشيء لم يشأ الله أن يوقعه في هذه الأمة قال قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم وهذه منعها الله جل وعلا فضلاً وتكرماً منه سبحانه وتعالى عن هذه الأمة كوناً مع تعلق القدرة بذلك أيضاً القدرة لها تعلقان

1 ـ تعلق من جهة الصلاح .

2 ـ وتعلق من جهة الزمان يعني تعلق من جهة المكان والهيئة ، وتعلق من جهة الزمان وهذه فيها بحث في الصفات أعني ليس هذا محله .